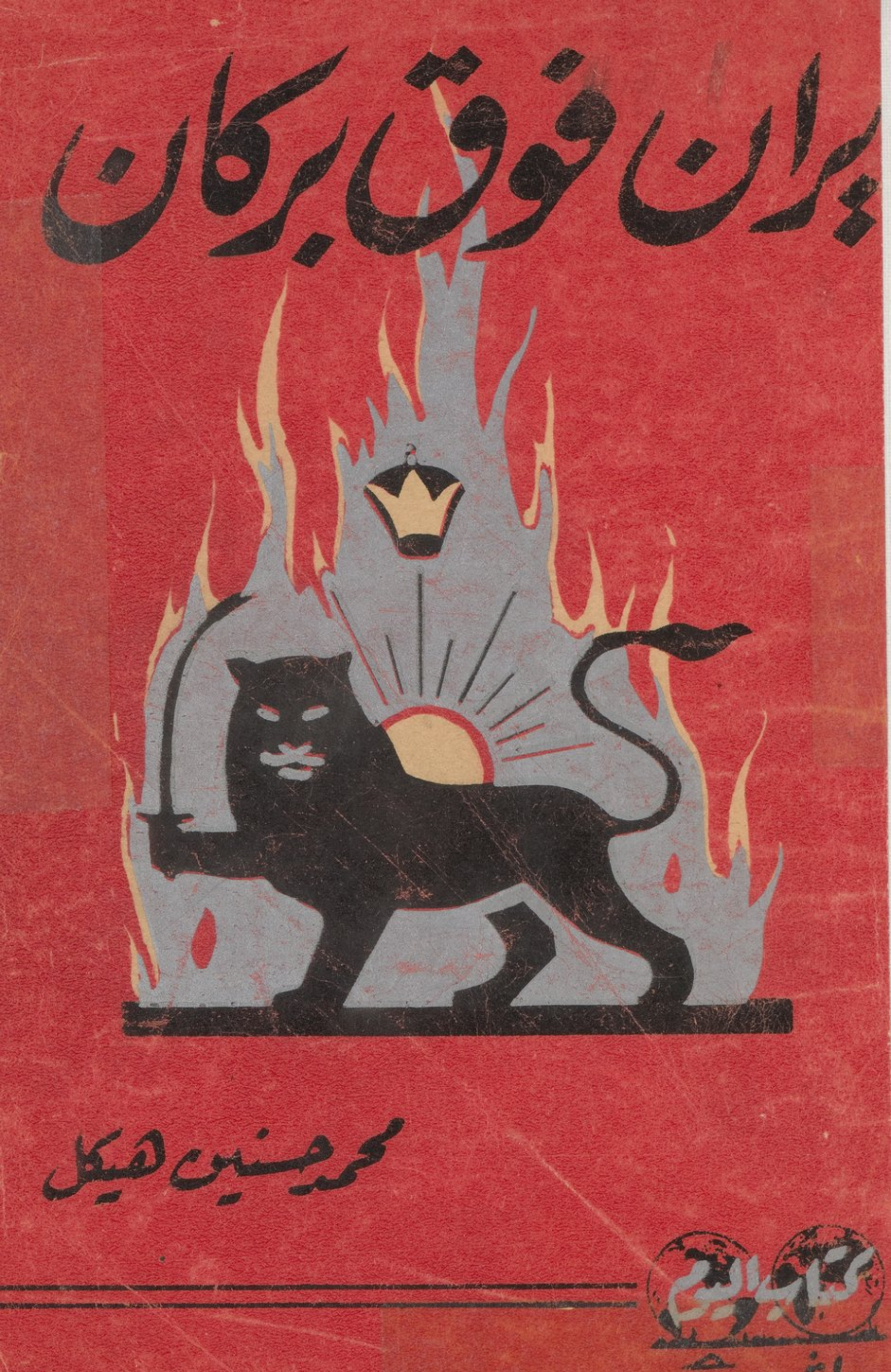

إيران فوق بركان
محمد حسنين هيكل
كتاب اليوم

إيران فوق بركان

محمد حسنين هيكل

ثمة حقيقة رهيبة قابلتها فى كل عواصم الشرق الاوسط !
قابلتها فى طهران كما قابلتها فى دمشق ، وطالعتنى فى القاهرة كما طالعتنى فى بغداد ، ورأيتها فى بيروت كما رأيتها فى عمان
تلك الحقيقة هى ان مشاكل هذا الجزء من العالم واحدة
فمهما تعرجت خطوط حدوده، ومهما تعددت اسماء عواصمه ومهما اختلفت طبائع اهله ولهجاتهم ، مهما يكن من امر ذلك كله ، فانه يخضع لنفس المؤثرات ، وتتقاذفه نفس التيارات ، وتمزقه نفس المؤامرات ، وتفترسه نفس القوى !
بل لقد خيل الى أخيرا وانا فى طهران استمع الى اسباب مقتل رزم أراه ، اننى فى القاهرة ، اعيش فى نفس الظروف التي عشت فيها ايام مقتل النقراشى ، او اننى فى دمشق ، استمع الى سامى الحناوى يشرح لى لماذا قتل حسنى الزعيم !
نفس الحيرة والتخبط والارتباك ، ونفس الشكوك والآراء والاوهام ، ونفس القلق والكبت والغليان !
وبعد ...
فلقد عشت شهرا فى ايران ، فترة اشتداد ازمتها الطاحنة على أثر مقتل رئيس وزرائها الاسبق ـ الجنرال رزم آراه ـ فى الاسبوع الثانى من شهر مارس سنة ١٩٥١
ولقد ذرعت ايران من الشمال الى الجنوب ، من جولفا على الحدود الروسية الى عبدان على الخليج الفارسى ، وقضيت اياما طويلة فى ظلمات طهران وسراديبها الغامضة
وهذا الكتاب ليس الا تحقيقا صحفيا سريعا لما رأته عيناى وسمعته أذناى فى تلك الايام العجيبة المثيرة
وما أكثر الاحداث التى وقعت ولم تلمحها عيناى
وما أكثر الاسرار التى قيلت ولم تلتقطها أذناى !

محمد حسنين هيكل

الفصل الأول

« تصرفوا بقسوة لكي لايقول الناس انكم متكلفون ! »

(شكسبير)

السلام فى طهران ـ هو العزيز ـ رجلهم المقدس ـ الأب والابن ـ رجل الحرب ورجل السياسة ـ جنازة فى مسجد الشاه ـ زندباد اسلام ـ دم على المصحف ـ عبد الله .. خادم الله ـ رصاصات مباركة ـ الشاه لايصدق ـ الجثة السعيدة ـ موردباد ترومان ـ يحيا تأميم البترول .

١ـ طهران فى احضان كابوس

أعصـــابها من حديد هذه العاصمة الايرانية المترامية تحت جبال شمران !

لقد كانت انحاء العالم تتجاوب ـ فى قلق ورهبـــة ـ بأصداء الحـــوادث التى كانت مسرحا لهافى الساعات الأخـيرة ، ومع ذلك فهاهى ذى طهران ـ بنفسها ـ تبدو للوهلة الاولى كأنهـــا واحة سعيدة خضراء بعيدة عن المشاكل والقلاقل ! ..

لقد بدا مطارها الكبير ، مطارمهـرباد ـ أى قرية الشمس ـ ساكنا هادئا يفـوح بعبير الزهورالمتألقة فى شمس الأصيل .

وكان الطريق من مطار مهربادالى قلب طهران ينســـاب بين التلال والوهاد فى أمن وسلام ..

وكانت شـــوارع العاصمةالايرانية تمرح بالحركة السعيدة المطمئنة ..

وفجـــأة والسيارة تقطع بنا« خيابان شاه » ـ شارع الشاه ـ قال سيفتون ديلمر كبيـر مـــراسلى جــريدة الديلى اكسبريس الانجليزية :

ـ عجيب .. ألهذا جئنا هنا ؟

واشـــار الى الشارع المتألق بالأنوار واستطرد :

ـ لا أظن أن صحفنا أرسلتناهنا الى طهران لكى نرســل لها قصائد شعر عن السلام والهدوء فيها !؟ ..

ونظـر الى ديلمر متحمسا ،وكنت لاأزال أرقب موكب السعداء السائرين فى «خيابان شاه» فى تلك الساعة من المساء .

وقال ديلمر صاخبا :

•

ـ مـــاذا ؟ ألا ترد ؟ .. الايدهشك هذا السلام ، هذا بلد قتل رئيس وزرائه منذ ساعات ،واندفعت المطـــامع والمؤامرات والدســـائس تفترس مستقبل شعبه من الداخل ومن الخارج ، والعالم كله يضع يده على قلبـه رهبة مما سوف يحدث فى طهران وتبادر جرائدنا فترسلنا الى هنا . . أنت من القاهرة وأنا من لندن فماذا نرى ؟ .

فقلت له :

ـ هـــــذا السلام . . وهذا الهدوء ! . .

وازدادت ثورة ديلمر ، واطلق زفرة يائسة وهو يقول :

ـ أنا شخصيا أكاد أجن . .

والتفت فجـــأة الى سائق السيارة موجها اليه الحديث :

ـ الى أى حد حزن النـاس على وفاة الجنرال رزم آراه ؟ .

وفتح السائق زجاج نافذته ،والتفت الى ديلمـــــر ، وقلب شفتيـــــه ، ثم اتجه الى النافذة المفتوحة وهـــو يردد اسم «رزم آراه » . . ثم بصـق على أرض الشارع ! ! . .

وكانت المفاجـــأة أكثر مما تحتملها أعصـاب ديلمر بجسده البـــدين ، ومزاجه المتقلب ،وانفعالاته المتلاحقة ، فالتفت الى قائلا فى غضب :

ـ هل رأيت ماذا فعل هـذا المجنون ؟ . . لقـــد سألته عن رئيس وزراء بلاده الذى قتـــل اليـــــوم فكانت اجابته هذه « البصقة » التى قذفها ببساطة الى عرض الطريق ! . .

وكانت هناك مفاجـأة ثانية ،تنتظـر أعصـــاب ديلمر ، على رصيف الشـــارع أمام فندق نادر نادرى فى خيابان شاه

لقد وقف بائع الصحف الذى يفـــــرش جـــرائده على الارض أمام الفندق ، يصيح بأعلى صوته مناديا اسماءها ، وتوقفنا

ونحن ننزل من السيارة وندخل الفندق – لنلقى نظرة عابرة على المجموعة العجيبة المرصوصة على الارض من مجلة « أصناف » . وكانت المفاجأة ..

فى واجهة المجلة رسم يمثل العلم البريطانى ، عليه صورة للملك جورج السادس ملك الانجليز ، ووراء صورة الملك ، صور أخرى لتشرشل وبيفن ، وقد بدا الجنرال رزم آراه – رئيس الوزراء الذى قتل – فى الصورة منحنيا فى اجلال يقبل العلم بينما امتدت يد ملاك من السماء قابضة على مسدس ينطلق منه الرصاص الى راس الجنرال الذى تفجر منه الدم ، وفوق الصورة عنوان كبير كتب فيه : « القبلة الأخيرة » !!

ووضع ديلمر يده على رأسه كأنما يمنعه من ان ينفجر ، وصاح :

– يا اله السموات !

وكانت هناك – على اى حال – مفاجآت كثيرة اخرى تنتظر « ديلمر » ، وتنتظرنا جميعا فى تلك الليلة الهائلة فى طهران . .

الانباء تسرى فى آفاقها كشهب الليل المنطلقة فى الظلمات

وصوت الرصاصات الاربع التى أردت الجنرال رزم آراه – أو الرجل القوى كما كانوا يسمونه فى ايران وخارج ايران – مازال يدوى فى الاسماع

ونوافذ القصر الملكى – قصر المرمر نفسه ومجموعة القصور المحيطة به – وكذلك نوافذ وزارات الحكومة ، ودور السفارات والمفوضيات الاجنبية ، كانت مضاءة حتى تلك الساعة المتأخرة من الليل ، وكان رجالها المسئولون جميعا وراء مكاتبهم ينتظرون التطورات الجديدة ..

ومواكب الاشاعات تنساب فى خفة الاشباح فتداعب المقاعد تحت أصحابها ثم تهزها بعنف وقسوة !

وكان الشاب الذى قتل رئيس الوزراء منذ ساعات قد قال للمحققين :

ـ انى متعب فاتركونى برهة لأستريح ! ..

وتركوه فاذا هو يستغرق فى النوم ـ هادئا كأطياف الاحلام !
ـ لمدة خمس ساعات ، ثم يستيقظ من النوم ليلقى تحت اقدام المحققين بقنابل تنفجر واحدة بعد الاخرى ..

« نعم قتلت رزم آراه »

« لم يكن لى شركاء فى شرف قتل الخائن ! »

«لقد أمرتنى (فدائيان اسلام) أن أقتله فنفذت الأمر »

وفى نفس الوقت ـ خارج غرفة التحقيق ـ كانت هناك قنابل أخرى تنفجر ، ويتجاوب صداها مع ما حدث داخل غرفة التحقيق ..

خرج «نواب صفاوى» أو« ناقاب صافاقى» ـ كما ينطقونها فى ايران ـ ببيان وقعه بوصفه الرئيس التنفيذى لجمعية «فدائيان اسلام» ـ الدينية الارهابية ـ يقول فيه بعد مقدمة قصيرة مانصه :

« ان البطل الذى قتل رزم آراه الخائن أدى واجبه »

وبعدها بقليل أصدر آية الله كاشانى ـ الزعيم الروحى الكبير فى ايران بيانا ثانيا يقول فيه :

« ان الرصاصات التى أردت رزم آراه قتيلا ، كانت رصاصات مباركة ، مصحوبة بتوفيق الله .

لقد كسبنا معركة البترول ،وسيؤمم البترول على رغم انف الخائن المضرج بدمه »

ثم انفجرت القنبلة الثالثة ـ خارج غرفة التحقيق ـ فى شكل بيان أصدرت به جريدة أصناف ملحقا خاصا .

والبيان الجديد موجه الى صاحب الجلالة الشاه محمد رضا بهلوى وكانت لهجته تجديدا عجيبا فى اساليب مخاطبة الملوك بدأ البيان على النحو التالى :

« هو العزيز » (أى الله وحده العزيز)

ثم عبارة : « بسر بهلوى » (أى يا ابن بهلوى ..)

ثم ، بالحرف الواحد :

« يجب أن تعتذر لخليل طهمسبى - قاتل رزم آراه - عما لحقه من عناء من جراء القبض عليه - ! - ويجب أن تطلق سراحه بشرف وكرامة قبل ان تمر ثلاثة أيام ، والا فان جميع المسئولين عن القبض عليه ، سينزل بهم نفس العقاب الذى أنزل « برزم آراه »

يجب أن تطلق سراح رجلنا المقدس خلال هذه الأيام الثلاثة ان لم تفعل هذا فأنت تقترب من الجحيم خطوة فخطوة ! »

وانطفأت الأنوار فى طهران مع الفجر .

واستلقت العاصمة المتعبة المرهقة ، فى أحضان كابوس رهيب ، تحاول أن تختلس غمضات تساعدها على الغد

وكانت جثة رزم آراه التى مزقها الرصاص ، لاتزال - خلال هذا كله - موسدة على سرير فى مستشفى ابن سيناء ، ملفوفة بالعلم الايرانى ، وحولها أربعة ضباط فى نوبة حراسة عسكرية !! ..

٢ - كان رزم آراه يريد اعتزال السياسة

وكانت مفاجآت تلك الليلة فى طهران تبدو مثيرة مخيفة على وهج الرصاصات الأربع التى ومضت فى الصباح

وصرعت «رزم آراه» قتيلا فى ساحة مسجد الشاه ! .

كان «رزم آراه» قد استيقظ من نومه فى الساعة السادسة صباحا ..

وقالت لى زوجته - فيما بعد - وكانت قد أصبحت أرملة حين قابلتها فى بيتها - قالت لى بعد ان ظلت خارج الغرفة ربع ساعة تجاهد تأثرها حتى تدخل الى ذلك الصحفى القادم من مصر رافعة رأسها مسيطرة على الدموع :

« لقد قام من نومه على صوت ابننا الصغير ، وكان قد بدأ يجرى فى انحاء البيت ويملأها كلاما .. وصياحا ..

وكان زوجى يحب هذا الطفل ويؤثره على اخوته

وفتح زوجى باب غرفة نومه ، ونادى الطفل الصغير ، ثم اخذا يلعبان معا لعبتهما المفضلة .. ابنى الطفل يزوم ويكشر ملامح وجهه مقلدا السباع - كما كان يتصور - وأبوه - زوجى - الجنرال - يتظاهر بالخوف والهلع فيشتد صياح الطفل شاعرا بالانتصار ، ويلعلع صوته فى البيت صائحا .

- « هوه .. هوه »

ثم تختلط اصداء هذا الصوت ، بضحكات الأب والابن معا

وقالت الام ، الزوجة ، ارملة رئيس الوزراء القتيل :

- هكذا بدأ اليوم فى بيتنا فى ذلك الصباح المشئوم

ولم تكمل عبارتها فقد نهضت فجأة ، وانفلتت خارجة من الغرفة ، وقال لى شقيقها - وكان يحضر مقابلتنا - بصوت يختلج تأثرا :

- ان أختى تكره أن يراها أحد وهى تبكى !

وغادر الجنرال رزم آراه بيته فى الساعة السابعة والنصف

صباحا ، متجها الى منزل والده يزوره ، ورزم آراه الاب شيخ عجوز يقترب من المائة سنة فى خطوات واهنة ويرقد فى فراشه بأمر الاطباء لايغادره أبدا

وجلس رئيس الوزراء على حافة فراش أبيه يتحدث معه

ولقد روى لى رزم آراه الاب ـ والد الجنرال القتيل ـ فيما بعد تفصيلات الحديث الغريب الذى دار بينه وبين ابنه فى ذلك الصباح الموعود !

كانت السنون قد نهشت حنجرة صوته ، وكان الأسى قد أحرق مابقى من أوتارها وخرجت الكلمات محطمة من فم الشيخ المتهدم :

« الغريب انى فى صباح ذلك اليوم ، الذى زارنى فيه ، قلت له :

« ياعلى ، انت مثلى رجل حرب لاتعرف كيف تلف وكيف تداور ، وسياسة ايران اليوم ليس فيها الا لف ودوران ، وأنا أبوك وانا الذى ربيتك سواء فى البيت أو فى حياتك العسكرية ، وانا اعرف ان الرياء ليس من طبائعك ، والرياء عدة السياسى ، فلماذا لاتترك رئاسة الوزارة لمن يعرفون كيف يدورون وكيف يلفون ؟ » .

ومضى رزم آراه الاب العجوز ، وقد بدا صوته المرتعش كذبالة مصباح فرغ منه الزيت :

« والاغرب أن ابنى بدأ مقتنعا بكلامى فقد قال لى :

« أقسم لك يا أبى انى لا أريد ان ابقى فى رياسة الوزارة يوما واحدا أكثر مما ينبغى ، وانا انتظر حتى تمر أزمة البترول وتهدأ حدة الموقف ثم انسحب من الميدان ! »

وخرج الجنرال رزم آراه من بيت أبيه الى رئاسة الوزارة فى قصر جولستان ..

وقال لى مدير مكتبه فى رئاسة الوزارة فيما بعد :

ـ لقد وصل الى مكتبه فى الساعة التاسعة صباحا وكان مكتبه فى ذلك الصباح الاسود مليئا بالملفات والمشاكل ، ولما استقر على مقعده نادانى ليقول لى :

ـ انى اريد ثلاث ساعات هادئة هذا الصباح ، لان امامى عدة امور يجب ان ابت فيها برأى وعليك ان تجد لك طريقة فى الزوار الذين يريدون مقابلتى اليوم ، تصرف معهم كما تريد ، ولكن لاتسبب لى مشكلات مع احد

ومضى مدير مكتب رزم آراه يقول لى :

« وقلت له : ولكن ياسيدى الرئيس انك لن تستطيع ان تبقى فى مكتبك هذه الساعات الثلاث ، ان عليك ان تحضر جنازة فى الساعة العاشرة والنصف

وقال الجنرال :

ـ آه .. كنت نسيت هذه الجنازة .. فى أى مسجد هى ؟

قلت له :

ـ فى مسجد الشاه

واكب الجنرال على مكتبه يفتح احد الملفات وهو يردد دون وعى :

ـ « فى مسجد الشاه .. فى مسجد الشاه »

ومضى مدير مكتب رزم آراه فى حديثه :

« واضطررت فى الساعة العاشرة والربع ان اطرق باب غرفة الجنرال وادخل ، ورفع راسه ثم بادرنى :

ـ أعرف .. اعرف ، تريد ان تذكرنى بموعد الجنازة فى مسجد الشاه

وهززت رأسى وخرجت ، واكب الجنرال على الورق من

جديد ، ومرت الدقائق ، وأصبحت الساعة العاشرة والنصف ، أى أن الجنازة بدأت فعلا فى مسجد الشاه ، ورئيس الوزراء ما زال هنا لم يغادر مكتبه فى قصر جولستان .

وطرقت الباب مرة ثانية ودخلت ، وأقفل الجنرال ملفا كان يدرسه وهم واقفا وهو يقول :

- لك حق .. سوف أذهب حالا ..

ونظر فى ساعته واستطرد : ياه .. لقد بدأت الجنازة فعلا !

وسكت مدير مكتب رزم آراه ، وطال سكوته ، وكان بصره يدور ذاهلا فى فضاء الغرفة ، ثم قال :

- لم يكن يدرى أنها ستكون جنازته أيضا !!

ولقد روى لى « فريدون محمدى » الحارس الخاص للجنرال رزم آراه تفصيلات المفاجأة الضخمة التى وقعت فى مسجد الشاه فى الدقائق التالية

وكان « فريدون محمدى » حين قابلته لا يزال راقدا فى فراش مرضه فى مستشفى طهران ، جريحا من طعنة خنجر نفذت الى ظهره من يد مجهول هو شريك لقاتل رزم آراه فى مسجد الشاه

وبدأ « فريدون محمدى » قصته بالحديث عن نفسه :

« لقد كنت مع الجنرال فى الجيش ، وكنت أنا وثلاثة من زملائى نؤلف فرقة حراسته حينما كان رئيسا لهيئة أركان حرب الجيش ، فلما تولى رئاسة الوزارة خلعنا الملابس العسكرية كما خلعها وتبعناه الى قصرجولستان »

ووصل فريدون الى قصة ذلك الصباح العجيب :

« كانت هناك جنازة فى مسجد الشاه لأحد كبار أئمة الدين ، توفى ، ورأى الجنرال أن يشترك رسميا فى جنازته ..

ووصل - ونحن وراءه - الى مسجد الشاه متأخرا ربع ساعة عن موعد بدء الجنازة

وكان المسجد غاصا بالناس ، وتقدمت امام الجنرال أدفع الجماهير المحتشدة وافسح طريقا لرئيس الوزراء ، ودخلنا الباب فى سلام ثم اجتزناه الى الساحة الداخلية للمسجد ، وكان الجنرال متعجلا الى درجة أنه كان ورائى مباشرة ، وسمعته أكثر من مرة يهمس

- اسرع .. اسرع والا فاتتنا الصلاة على الجثمان !

وفجأة سمعت دويا ، وكانت دلالته واضحة لمعت فى ذهنى كالبرق :

- هذا طلق نارى !

ودوى طلق آخر ، وثالث ، ورابع ، ثم انبعث صوت اجش يقول :

- زندباد اسلام ، زندباد اسلام

(أى يحيا الاسلام ... يحيا الاسلام)

والتفت فوجدت رئيس الوزراء يسقط على الارض ، ويداه ممدوتان الى الامام ، وعيناه مفتوحتان عن آخرهما وأسنانه كلها ظاهرة من شفتيه المتقلصتين وهو يتمتم بشىء لم أسمعه ..

ووراء هذا المنظر المؤلم ، كان هناك منظر آخر :

شاب يمسك فى يده مسدسا ، ويحاول ان يشق طريقه هاربا ، بينما زملائى الثلاثة من رجال الحرس ، ومعهم وزير الاشغال الذى كان قادما وراءنا - يحاولون الامساك به

وتدخل بعض افراد الجمهور يضربون رجال الحرس ليسهلوا فرار القاتل الذى كان لا يزال يصيح :

- زندباد اسلام

ويرددها وراءه كثيرون من الجماهير

وبدأ الناس يبتعدون جريا لان جماعة من رجال البوليس اندفعوا الى موقعنا يحاصرونه ويفرقون الجمع المحتشد بهراوات المطاط المضغوط

وفى نفس اللحظة كنت أحاول ان اخرج مسدسى لأساعد فى القبض على القاتل ، ولكن أحد شركائه كان يراقبنى على مايبدو، فلم تكد يدى تخرج بالمسدس حتى أحسست بشىء حاد بارد يغوص فى ظهرى

وأدركت انها طعنة خنجر نافذة ، وبدأت اغيب عن الوعى ، وفى اذنى طنين غريب تختلط فيه الاصوات المتناقضة التى كانت تملأ جو الساحة الداخلية لمسجد الشاه فى تلك اللحظات :

همهمة الصلاة المنبعثة من الميكروفون وهو ينقل مراسم الجنازة التى كانت قد بدأت داخل المسجد

وحيرة الحركة العجيبة حول جثة الجنرال القتيل الذى كان يشترك فى الجنازة

وصيحات رجال البوليس لطرد الجمهور وحركة فرار الجمهور وصوت القاتل وهو فى قبضة رجال البوليس ، يصيح بأعلى صوته:

ـ زندباد اسلام ... زندباد اسلام ...

خليط مخيف من الأصوات ...

وفقدت الوعى !

٣ ـ الجنة تحت ظلال السيوف !

ولقد كانت تصرفات القاتل بعد ارتكاب الجريمة اكثر غرابة من تصرفاته اثناء ارتكابها ، صاح فى وجه رجال البوليس الذين قبضوا عليه :

ـ انا لا اخاف منكم يا خونة !

ثم اشار الى جثة الجنرال وكانت ماتزال ملقاة على الارض وحولها بركة من الدم :

ـ لقد لحق الخائن بزملائه الذين سبقوه الى جهنم !

وصرخ القاتل فى رجال البوليس ، وهم يضربون الجمهور المتكائف فى ساحة المسجد بهراوات المطاط المضغوط :

ـ لو مسستم شعرة واحدة من راس احـــد اصدقائى فالموت لكم جميعا

ولما دخل عليه الجنرال محمد دفترى حكمدار بوليس طهران بادره القاتل :

ـ لماذا يضربنى رجالك .. لقد خدمت الاسلام

وفتشوا جيوبه وكانت نتيجة التفتيش أن عثروا على مايلى :

١ ـ كمية من الفلفل الاسود المدقوق ملفوفة فى ورقة صغيرة

٢ ـ نسخة صغيرة من القرآن عليها قطرات من دم قديم

٣ ـ ورقة عليها بضع آيات من القــرآن بالحبر الأزرق ، وباللغة العربية ، وتحتها ترجمة لها باللغة الفارسية

٤ ـ ورقة عليها عبارة « الجنة تحت ظلال السيوف » !

وكان استجواب القاتل شبكة من الألغاز ، وبدا فى ردوده على الاسئلة الموجهة اليه كأنه يلقى اقوالا ماثورة يحفظها عن ظهر قلب!

سئل عن اسمه فقال :

« عبد الله موحدى راستكار »

وسئل عن عائلته فقال :

« ليس لى زوجة ولا ولد ، ومات أبى ولحقته امى »

وسئل عن عنوانه فقال :

«ليس لى مسكن، ومساجد الله واسعة ، وابوابها مفتوحة

للمؤمنين فى الليل والنهار ! »

وأدرك المحققون انه يضللهم ليكسب وقتا ..

وظلت لعبة القط والفأر بينهم وبينه تلف وتدور ساعات متوالية حتى قال لهم اخيرا :

ـ هل تريدون اسمى الحقيقى ؟

واستطرد قبل أن يسمع ردهم :

ـ ان اسمى الحقيقى هو خليل طهمسبى

وسألوه فى شك : «وعبد الله موحدى راستكار» الذى ذكرته لنا من قبل على انه اسمك ؟

وقال القاتل : ليس هذا اسمى ، ولكنها صفاتى ...

ثم بدأ يشرح لهم :

« عبد الله ... اى خادم الله »

« موحدى ... أى الموحد بالله »

« راستكار ... أى الذى لا يقول الا الصدق ! »

ثم استطرد فى اصرار :

ـ اما اسمى الحقيقى ، فهو كما قلت لكم : خليل طهمسبى!

وبعد دقائق كانت كل قوى البوليس فى طهران متجهة الى جمع اكثر ما يمكن جمعه من المعلومات عن شاب يدعى «خليل طهمسبى »

وبدأت المعلومات ترد تباعا :

«خليل طهمسبى شاب فى الثلاثين من عمره يعمل نجارا»

«خليل طهمسبى يعيش فى غرفة صغيرة فى بيت متهدم وراء مسجد سباه سالار »

«سبق لادارة بوليس طهران أن حررت محضرا لخليل طهمسبى لتهجمه على بعض رجال البوليس أثناء الانتخابات الاخيرة واتهامه

لهم بالتزوير ، وكان يعمل بأقصى جهده لتأييد ترشيح آية الله كاشانى فى احدى الدوائر الانتخابية فى طهران ، واتهم رجال البوليس ليلة الانتخاب بأنهم يحاولون تغيير الاوراق التى تملأ الصناديق حاملة اسم آية الله كاشانى »

« خليل طهمسبى شاب متحمس متهوس ينتمى لجمعية فدائيان اسلام »

ولم يكن فى هذا كله جديد ، لأن طهمسبى نفسه كان داخل غرفة التحقيق يصيح :

« قتلت الخائن بأمر فدائيان اسلام »

وكانت فدائيان اسلام ، خارج غرفة التحقيق ، تهدر فى سلسلة من البيانات بأنها هى التى أمرت طهمسبى بقتل الخائن ، فوجه الى قلبه الرصاصات المباركة المصحوبة بتوفيق الله !

٤ ـ شجرة فى وجه الأعاصير !

وكانت طهران فى اليوم التالى عاصمة يحكمها الرعب ويسيطر عليها الفزع ، وتطغى فيها طلقات الرصاص على أحكام القانون !

وكان وقع اغتيال رئيس الوزراء صاعقا ، فلقد كان الرجل القوى فى ايران ، وفى ثوان ضاع الرجل القوى وانتهى

واصبح من الصعب على كثيرين ان يصدقوا أن الرجل الحديدى قد استحال بسرعة خاطفة الى جثة مضرجة بالدم لا تثير الا الشفقة والرثاء

ولقد نظر جلالة الشاه محمد رضا بهلوى الى موظف القصر الذى ابلغه النبأ وقال :

ـ لا .. لا .. لا اصدق .. لا اصدق ..

ثم تهاوى الشاه على مقعده ذاهلا من المفاجأة والحزن !

وسمعت زوجة رزم آراه النبأ وهى تدخل عيادة طبيب اسنانها

وجنت السيدة البائسة ونسيت سيارتها ، وشهدت شوارع طهران زوجة ذلك الذى كان رئيسا للوزراء منذ ثوان قليلة ، تجرى حافية القدمين تلطم خدودها وتولول

وقال « جيمس وب » الوكيل المساعد لوزارة الخارجية الامريكية :

ـ لقد كان رزم آراه التعس ، يقف وحده فى الميدان فى مواجهة قوى هائلة ، ولقد صمد الرجل للعواصف بقوة شجرة السنديان الشامخة ، ولكن الاعاصير تجمعت وتحالفت على الشجرة الشامخة حتى قصمتها والقت بها حطاما على الأرض !

وكان السيد « خليل فهيمى » وزير الدولة فى وزارة رزم آراه قد كلف بأمر الشاه ليتولى منصب نائب رئيس الوزراء مؤقتا حتى يتم تاليف وزارة جديدة !

ووجد نائب رئيس الوزراء نفسه امام مشاكل ملتهبة

واجتمع المجلس ـ مجلس الوزراء ـ تحت رئاسة خليل فهيمى لاول مرة ، ليقرر ـ لآخر مرة ـ أن يجامل رئيسه القتيل باعلان الحداد الوطنى يوم مقتله

وردت جمعية فدائيان اسلام على هذا الاعلان ببيان تقول فيه :

« لا حداد اليوم ، بل فرح و سرور ، لترفع كل الاعلام ، وتفتح جميع المتاجر ..

سوف نحاسب كل من ينكس علمه ، ونهدم أبواب كل متجر يغلق أبوابه حدادا

لتمش البهجة والحبور مع الناس فى الاسواق والشوارع ..

هذا يوم عيد »

وكانت هذه فاتحة مشاكل نائب رئيس الوزراء .. ولكنها لم تكن آخر المشاكل

اخطر رئيس الوزراء – بلا مقدمات – بأن جميع ائمة المساجد فى طهران قد رفضوا ان يشتركوا فى جنازة الجنرال رزم آراه ، ورفضوا ان يلقى احد هم – كما تقضى التقاليد الدينية – كلمة فى تأبين القتيل وطلب الرحمة والغفران لروحه !

واستدعى السيد فهيمى ، امام مسجد « سباه سالار » ليحاول اقناعه بنفسه ، وخرج الرجل من مكتب نائب رئيس الوزراء مصرا على الرفض كما دخل

وكان السيد فهيمى يروى ما حدث فى شبه ذهول :

– لقد اضطررت ان اعرض عليه ٢٥ الف تومان – اى ثلاثة آلاف جنيه مصرى – لكى يقبل ان يشترك فى الجنازة ولكنه رفض وقال : ان حياته تساوى عنده اكثر من ٢٥ الف تومان ؛ لان فدائيان اسلام ستقتله اذا اشترك فى الجنازة ولا تستطيع الحكومة التى عجزت عن حماية رئيسها القتيل – ان تحرس امام مسجد يدير ظهره كل يوم خمس مرات لآلاف المصلين من المسلمين المؤمنين !! !

وكانت المشكلة الثالثة أن « فدائيان اسلام » اذاعت انها ستبث عيونها حول الذين يشتركون فى تشييع جنازة رزم آراه

وكان الجو الذى شيعت فيه جنازة رئيس الوزراء القتيل مثيرا مليئا بالقلق والضنى ، وقد وصف لى وزير فى وزارة رزم آراه شعور مشيعى الجنازة بقوله :

– لقد كان اسعدنا واكثرنا اطمئنانا ... الجثة الممزقة داخل النعش !

ثم جاءت المشكلة الكبرى ..

لقد امر الزعيم الروحى الكبير آية الله كاشانى أن تخرج مظاهرة تطوف شوارع طهران فى العصر

ووصف بعض الوزراء مظاهرة كاشانى بأنها عملية ارهاب

وقال بعض الدبلوماسيين : انها مجرد مناورة لاستعراض قوة آية الله كاشانى فى شوارع طهران ، وتوكيد لما أذاعه من انه يبارك قتل رزم آراه ويبارك يد قاتله !

وكان نبأ هذه المظاهرة قد أبلغ الى نائب رئيس الوزراء وهو يشيع جثة رئيسه القتيل الى مقرها الاخير ، فعاد مجلس الوزراء من الجنازة ليجتمع من جديد ويبحث مشكلة المظاهرة

وانتهى الاجتماع على أن يتصل السيد فهيمى نائب الرئيس بآية الله كاشانى ، فيطلب منه، أو على الاصح يرجوه ويتوسل اليه عند اللزوم ، أن يعدل عن هذه المظاهرة او يؤجلها حتى تنتهى الازمة !

واستمع آية الله كاشانى الى طلب نائب رئيس الوزراء، ثم الى رجائه وتوسله ولكنه رد بأنه مصمم على المظاهرة ولن يتزحزح عن تصميمه لاى طلب او رجاء او توسل ، وقال آية الله كاشانى لنائب رئيس الوزراء :

- ان كل ما يستطيع أن يعدبه ... هو أن يضمن نتيجة المظاهرة وان السلام سوف يسودها الى آخر دقيقة !

وبدل المظاهرة الواحدة شهدت طهران عصر ذلك اليوم مظاهرتين

المظاهرة الاولى - التى امر بها آية الله كاشانى ، وقذف فيها بمائة الف متظاهر الى الشوارع يهتفون «لتذهب روحك الى الجحيم يارزم آراه » و« يسقط الانجليز ويحيا تأميم البترول»

ومظاهرة ثانية - لم يأمر بها آية الله كاشانى - ولم يعرف

خبرها نائب رئيس الـوزراء ،وانما انشقت الارض عنها فجأة فاذا هي تجوب شـوارع طهران حـاشدة في صفوفهـا اكثر من عشرة آلاف سيدة من نسـاء« زحمات كيش » اى « الكادحات في الحيـاة » - وهى الفـرع النسـائى لحـزب « تودة » الشيوعى !

واتجهت المظاهرة النسائيـة المفاجئة الى السـفارة الامريكية تهتف :

« مـورد باد تـرومان » أى « ليمت ترومان »

ثم انطلقت الحناجر النسائية الشيوعية ، متجاوبة مع حناجر اتباع آية الله كاشانى فى هتاف واحد « بحياة تأميم البترول »!

أهم الأخبار

تقرأها في

آخر لحظة

كل يوم جمعة

وكل يوم اربعاء

الفصل الثانى

« لقد ضمنا للامبراطورية البريطانية موردا طبيعيا نشعر ان الايام ستثبت مدى اهميته الفائقة للشعب البريطانى ، وفى نفس الوقت استطعنا أن نحول دون وقوع هذا المنبع الطبيعى الهائل للثروة فى أيد اجنبية غير بريطانية »

السير ج . ت . كارجيل

فى حفلة افتتاح شركة الزيت الانجليزية الايرانية

هل رأيت هؤلاء المجانين ؟ ـ ١٠ داونتج ستريت ـ ذهب أصفر وذهب أحمر ـ الحكومة البريطانية تتدخل ـ المستقبل هنا ـ العالم يلتفت الى بترول ايران ـ رضا بهلوى يثور ـ عصبة الأمم تجد حلا سلميا ـ بترول ايران حقق النصر ـ أغنى موارد العالم ـ المشاكل تبدأ ـ سقط الرجل القوى !

١ ـ اخطاء اربعين سنة !

كان خيابان سباه ـ شارع الجيش ـ يبدو كقطعة من يوم الحشر !

أفواج المظاهرات تمتد من أول مبنى ادارة البريد والبرق حتى مبنى شركة البترول الانجليزية ـ الايرانية أو شركة سهامى نفت أنكليس وأيران، كما يسمونها باللغة الايرانية !

والهتافات تنطلق من الشارع « بحياة تأميم البترول » و « سقوط الانجليز » كأنها قذائف تقتحم النوافذ المغلقة لتنفجر داخل الحجرات التى جلس فيها اصحابها من الموظفين الانجليز ينتظرون مايدخره القدر فى الثوانى المقبلة

وكنت جالسا فى مكتب « نور ثكروفت » المدير العام لشركة البترول ، وموضوع الحديث بالطبع ـ ! ـ مشكلة تأميم البترول

وكان مكتب نورثكروفت صورة حية للارتباك والحيرة موظفون يروحون ويجيئون دون قصد أو سبب ، ورسائل وبرقيات واردة من لندن ، ورسائل وبرقيات غيرها مرسلة الى لندن

والتليفونات على مكتب نور ثكروفت تدق جميعها فى وقت واحد كأنما اتفقت فيما بينها على أن تساعد برنين أجراسها المتقطعة على اتقان صورة الحيرة والارتباك

وبدأ نورثكروفت نفسه قطعة حية من جو مكتبه

وكانت نوافذ المكتب مغلقة ولكن الهتافات كانت تنفذ منها

لتئزفى جو الغرفة كأنها طلقات رصاص

وقال لى نورثكروفت :

ـ هل رأيت هؤلاء المجانين ؟

ثم استطرد : ماذا يريدون ؟

ومضى يرد على نفسه : « انا لا أشك ان شروطنا فى الماضى لم تكن سخية بالنسبة لهم ، واعترف اننا ظلمناهم ، ولكن كما قلت لك : كان ذلك فيما مضى ، وليس فى استطاعتى أن أفهم لماذا يهبون الآن ـ مرة واحدة ـ ليحاسبونا على اخطاء أربعين سنة مضت

لقد تساهلنا معهم الى أقصى حد ، ونحن نبذل كل جهدنا للتفاهم ، ولكن جهودنا السلمية لاتقابل الا بهذه الصيحات المتعطشة للدم »

وسكت نورثكروفت وكانت صيحات المتظاهرين مازالت تتزاحم وتتصادم داخل الغرفة الحائرة ثم استطرد :

أقول لك الحق .. ان لندن فى قلق مما يحدث هنا ، ولقد كنت صباح اليوم وكذلك كانت عبدان على اتصال بلندن طوال الوقت

ومر نورثكروفت بيده على رأسه واستطرد :

ـ ان قلق لندن ـ من جراء مايحدث هنا ـ ليس مقصورا على ميدان فينسبرى ـ مقر الشركة فى العاصمة البريطانية ـ ولكنه تعداه الى ١٠ داونتج ستريت ـ مقر رئاسة الوزارة !

٢ ـ الذهب الأحمر والذهب الأسود

ان قصة شركة البترول الانجليزية الايرانية هى نفسها قصة

بريطانيا فى سياستها البترولية كلها !

ولقد بدات القصة سنة ١٩٠١ ، وكان البطل انجليزيا مغامرا اسمه وليم دارسى ،خرج من مقاطعة « ديفونشير » فى انجلترا مهاجرا الى استراليا يبحث عن النجاح والغنى

وحصل دارسى على النجاح فقد اشتغل محاميا وبرز فى عمله

ثم عثر دارسى على الغنى فقد أشركه أحد أصدقائه معه فى البحث عن منجم ذهب ، اكتشفا مكانه بالفعل، واذا دارسى يصبح صاحب ملايين فيقرر أن يعود الى وطنه الأصلى - بريطانيا - لينعم بالذهب !

ولكن القدر كان قد أدخر لدارسى منجما آخر ، من الذهب أيضا،ولكنه ذهب أسود اللون ... هو بترول ايران !

ألقت المصادفات فى طريق دارسى بتقرير وضعه العالم الفرنسى مورجان عن احتمالات وجود البترول فى ايران ، ولم يكن وجود البترول فى ايران سرا مجهولا،ولكن تقرير مورجان كان يرسم صورة مغرية « للمستودعات الهائلة من البترول التى ترقد دون استغلال فى بطن التربة الايرانية »

وبدأ دراسى يهتم بالذهب الاسود ، فحصل من الشاه مظفر الدين كاجار - ملك ايران سنة ١٩٠١ - على امتياز للبحث عن البترول واستغلاله فى خمسمائة ألف ميل من اراضى ايران ، ، شاملة لكل مناطقها ماعدا المقاطعات الشمالية الخمس وهى أذربيجان ، وجيلان ومازندران ، واستراباد ، وخراسان

وكانت الشروط التى حصل عليها مظفر الدين لقاء هذا الامتياز ، صفقة خاسرة اذ لم يزد ثمن هذا الامتياز على عشرة آلاف جنيه انجليزى تدفع نقدا ،وحصة من ارباح استغلال البترول

قيمتها ١٦ فى المائة تدفع كل عام

وبدأ البحث ...

ركزت الشركة أبحاثها قرب الحدود التركية ـ التى كانت طبقا لتقرير مورجان، أكثر مناطق ايران غنى بالبترول ، وفى نفس الوقت اخذت جماعات صغيرة من فرق البحث تنقب فى الجنوب ، ولكن أحدا لم يشعر بها لأن كل الآمال كانت متجهة الى الشمال

ومرت سنوات والابحاث تجرى دون فائدة أو جدوى

واكتشفت الشركة أنهـا قد صرفت ـ ٣٠٠ ألف جنيـه أى نصف رأسمالها ـ دون أن تعثر على قطرة بترول واحدة ، وكان باقى رأس المال يتبخر بسرعة ، وتتلاشى معه بقايا الأمل الوردى العذب !

وفكر دارسى ذات يوم فى ان يبيع الامتياز ، وبالفعل باع حصة فيـه لشركة بورما الانجليزية للزيت ، ثم استبد به اليأس حتى قرر سنة ١٩٠٦ أن ينزل عن الامتياز كله لشركة اجنبية كانت آمالها فى بترول ايران أضخم من يأس دارس

وفجأة تدخلت الحكومة البريطانية !

كانت حكومة بريطانيا ترقب باهتمام مجهودات دارسى لاستخراج بترول ايران وكانت مشكلة موارد البترول من أهم مشاكل الامبراطورية البريطانية فى بداية القرن الحالى وهكذا لم تجد حكومة لندن مفرا من التدخل لتمنع دارسى من التخلى عن امتيازه ، ولتحول دون وقوع البترول الايرانى ، فى أيد غير بريطانية !

وكان هذا اول تدخل بريطانى رسمى فى بترول ايران ؛ ولكنه لم يكن التدخل الاخير

ومهما يكن من أمر فقد استمر دارسى فى نضاله بتشجيع الحكومة

البريطانية، ولكن صاحب الجلاله الاسود المراوغ كان مصرا على المحاورة والمداورة !

ثم حدثت المعجزة !

أبرقت احدى جماعات المهندسين الجيولوجيين التى كانت تعمل - اضافيا - فى منطقة الجنوب بنبأ هام : «لقد تفجرت اليوم بئر بترول قرب « شياه سرخ » فى مقاطعة خوزستان فى الجنوب الغربى لايران » !

وانتقلت كل قوى البحث من منطقة الحدود التركية الى مقاطعة «خوزستان» ، ويظهر أن صاحب الجلالة الاسود كان قد مل المطاردة فبدأ يستسلم للباحثين عنه بطاعة غريبة فى منطقة خوزستان !

وشهدت السنوات التاليه تطورات هامة فى قصة بترول ايران ففى سنة ١٩٠٩ تكونت شركة البترول الانجليزية الفارسية رسميا لمباشرة الاستغلال على نطاق واسع

وبدأت الحكومة البريطانية تهتم اهتماما مباشرا بآبار الزيت فى ايران ، وكان كل المسئولين يقدرون « ان مستقبل البترول اللازم للامبراطورية كلها يكمن فى ايران »

وكان أكثر المسئولين البريطانيين اهتماما هم ضباط وزارة البحرية باعتبار أن موارد البترول الايرانية هى المراكز الطبيعية لتموين الاسطول البريطانى العامل فى الباسفيك وبحار الصين والمحيط الهندى والبحر الابيض - بالوقود اللازم له

وفى سنة ١٩١٤ ، والحرب العالمية الاولى تلوح بنذرها القاتمة، طلبت الامبرالية البريطانية من شركة البترول أن تستعد لمواجهة الموقف ، وقالت الشركة انها لا تستطيع بامكانياتها الحالية أن تواجه كل مطالب الامبرالية

وكان وزير البحرية البريطانية يومها « ونستون تشرشل » الذى قرر الاقدام على احدى حركاته الجريئة ، فاذا بوزارة البحرية أى الحكومة البريطانية - تدخل شريكا مباشرا فى شركة البترول وتدفع مليونين ونصف مليون من الجنيهات لتحصل على ٥٢ فى المائة من أسهم الشركة

وكانت هذه الخطوة مرحلة حاسمة فى قصة البترول الايرانى !

٢ - بترول ايران فى وجه المطامع

وانتهت الحرب العالمية الاولى ، فاذا بترول ايران يقفز قفزات مدهشة !

أصبحت ايران الدولة الرابعة فى انتاج البترول فى العالم ، واصبحت الدولة الثانية المصدرة للبترول بين دول العالم ، واصبحت مصانع التكرير التابعة لها فى عداد المصانع الاولى لتكرير الزيت فى العالم !

وكان ابرز ما فى بترول ايران ان مكانه فى ذلك الجزء من الدنيا على خطوط المواصلات بين الشرق والغرب ميزة استراتيجية ملائمة ، مضافا الى هذا كله ضخامة كميات البترول وجودة نوعه

وبدأ بترول ايران يلفت اليه أنظار الدول ، وبدأ فى نفس الوقت يلفت اليه أنظار صاحبه الأصلى : شعب ايران !

وكانت أسرة كاجار الحاكمة - مانحة الامتياز لدارسى - قد فقدت عرشها ، وآل الى اسرة بهلوى ، التى أعلن رضا خان - مؤسسها - قيامها فى اعقاب سقوط اسرة كاجار

وكان الشاه الجديد فى حاجة الى المال لينفذ الاصلاحات التى

يحلم بها ، فاتجهت أنظاره - على الفور - كما اتجهت قبله أنظار الدول - الى بترول بلاده ، واكتشف رضا بهلوى أن مجموع ما تحصل عليه الحكومة الايرانية من البترول الغالى الذى يتفجر فى أرضها لا يزيد فى المتوسط على مليون جنيه كل عام ، فطلب من الشركة أن تدخل معه فى مباحثات لتعديل الامتياز « بقصد أن يحصل الشعب الايرانى على حصة أكبر من البترول الذى يتدفق من أراضيه » ، وحاولت الشركة أن تماطل ، ولكن رضا بهلوى كان ضيق الصدر فاذا الشركة تتلقى منه فى نوفمبر سنة ١٩٣٢ انذارا بأنه قرر الغاء امتياز البترول الممنوح لدارسى !!

ورفعت الحكومة البريطانية أمر الانذار الى عصبة الأمم التى تدخلت فى النزاع ، وألفت لجنة للتوفيق بين الحكومة الايرانية وبين شركة البترول ، وهكذا سويت الأزمة ووقعت الشركة والحكومة فى سنة ١٩٣٣ اتفاقا بتعديل الامتياز ، وكان من أبرز شروط الاتفاق :

- انقاص مساحة الأراضى التى يشملها امتياز الاستغلال
- فرض رسم قدره ٤ شلنات عن كل طن من البترول الخام تستخرجه الشركة من الآبار الايرانية يسدد للحكومة الايرانية
- رفع نصيب الحكومة الايرانية فى الأرباح الى ٢٠ فى المائة
- مد العمل بالامتياز ستين سنة من تاريخ توقيع التعديل أى استمرار سريانه حتى سنة ١٩٩٣

وبدأت العلاقات بين الشركة والحكومة تدخل مرحلة جديدة ٠٠ أشبه ما تكون بشهر العسل ، ورأت الشركة توكيدا لعواطفها أن تجامل الشاه ٠٠

كان جلالته فى اول حكمه قد أصدر امرا بتغيير اسم بلاده من «فارس» الى «ايران» وقررت الشركة أن تغير اسمها من «شركة البترول الانجليزية الفارسية» الى شركة البترول الانجليزية الايرانية »

واستمر شهر العسل حتى جاءت الحرب العالمية الثانية

وكان بترول ايران هو المركز الاستراتيجى الاول للامبراطورية البريطانية ، وتضاعفت قيمته خصوصا بعد تدخل اليابان فى الحرب ، وضياع موارد الزيت فى الشرق الأقصى وانقطاع المواصلات مع الولايات المتحدة - عن طريق الباسيفيك بسبب نشاط الاسطول اليابانى !

ولم يكن امام الاسطول البريطانى ، والأسطول الامريكى ، وباقى أساطيل الحلفاء فى هذه المنطقة سوى بترول ايران ، وشاركت الجيوش البرية وأسلحة الطيران المحالفة فى الأمل المعقود على مصانع التكرير فى عبدان

والبترول هو عصب الحرب دون نزاع ، والا فماذا تصنع حاملات الطائرات والبوارج والمدمرات والمدرعات والغواصات وناقلات الجنود فى البحر ، وماذا تفعل الدبابات والسيارات والعربات المصفحة وجرارات المدافع على الارض ، وماذا تفعل قاذفات القنابل والمقاتلات والمطاردات والنفاثات فى الجو ... اذا خلت مراجلها جميعا من الوقود الذى يبعث فيها الحياة !

انها بدونه - كما قال السناتور كابوت الامريكى فى تقريره عن موارد البترول فى الشرق الاوسط - تستحيل الى قطع من الحديد الخردة يغطيها الصدأ !

وهكذا كفل بترول ايران حركة الحياة لعتاد الحلفاء وقواتهم المسلحة فى تلك الأيام السوداء ، وكان هو كما يقول معظم

ساسة ايران : صاحب الفضل الاول فى النصر !

ولقد بلغ من اهتمام الحلفاء بهذا المورد ، انه لما احست الشركة بتسرب الألمان الى ايران ، وبميل الشاه رضا بهلوى بعواطفه الى دول المحور ، لم تجد مجالا للسكوت دقيقة واحدة ، فأقدمت بريطانيا من الجنوب ، وروسيا من الشمال على اجتياح ايران واحتلالها و خلع رضابهلوى من عرش ايران، وقد أقدم الحلفاء على هذه الحركة الجريئة فى صميم الفترة الحرجة من الحرب سنة ١٩٤١ ، وكان السر الكبير الكامن وراء هذه الخطوة : بترول ايران

٤ - دولة داخل الدولة

انتهت الحرب العالمية الى انتصار الحلفاء اذن بفضل بترول ايران ، وكان الانتاج الايرانى من البترول يكبر وترتفع كمياته ارتفاعا مخيفا حتى ليكاد يصل الى كمية الانتاج الروسى! - والانتاج الروسى هو ١٨٠ مليونا من البراميل فى السنة ، وبلغ انتاج بترول ايران فى سنة ١٩٤٦ ما يقدر ب ١٦٠ مليونا من البراميل ولكن التحسينات الضخمة ، والجهود الهائلة قفزت به فاذا احصائيات سنة ١٩٤٨ عن انتاج البترول الايرانى فى مناطقه المختلفة تصبح كما يلى :

الآبار فى أغا شارى	٦٨ر٦٤٤ر٠٠٠ برميل
« « هافت كل	٧٥ر٧٩٥ر٠٠٠ «
« « لالى	٢ر٩٦٣ر٠٠٠ «
« « مسجد السليمان	٢٥ر٧٥٠ر٠٠٠ «
« « نفط صفد	١ر٢١٤ر٠٠٠ «

ـ

أى أن مجموع الانتاج الايرانى قد زاد على مائة وسبعين مليونا من البراميل فى السنة ، وأنه يقترب بخطى ثابتة واثقة من الرقم الروسى لانتاج البترول ، وليس هذا الرقم الضخم وحده هو الذى يجعل كل هذه الأهمية لبترول ايران بل ان المبعث الحقيقى لهذه الأهمية هو ماثبت علميا من أن «الاحتياطى المحقق» المختزن فى باطن التربة الايرانية لا يقل عن ١٢ بليونا من البراميل ! !

وفى السنوات القليلة التالية للحرب كانت آمال شركة البترول تذرع الآفاق والسحب عرضا وطولا ، وقد استطاعت ـ فى تلك الفترة ـ أن توسع معامل التكرير فى عبدان فتجعل طاقتها ١٦٠ مليونا من البراميل فى السنة، وجعلتها أيضا أضخم واحدث وأدق مصانع التكرير فى العالم ، وأصبح لدى الشركة أكبر أسطول من ناقلات الزيت يرفرف فوقها جميعا العلم البريطانى وتحته علم شركة البترول ، وتحمل جميعا الاسماء التقليدية التى تصر الشركة على اطلاقها على كل قطع أسطولها والتى تنتهى بكلمة « البريطانى » ، وبين أسطول الشركة مثلا قطعة تحمل اسم « الدوق البريطانى » وأخرى باسم « الجنرال البريطانى » و « الشرف البريطانى » وهكذا

واصبحت للشركة مدن قائمة بذاتها سواء فى مناطق الآبار أو التكرير أو غيرها من المراكز الواقعة على التقاء نقط المواصلات بين الآبار

وارتفع عدد العمال والموظفين فجاوز مئات الألوف

وكانت « عبدان » قبل شركة البترول قرية صغيرة مهجورة ، وسكان عبدان اليوم يزيدون على الثمانين ألفا وهم يعيشون جميعا فى مستوى مرتفع ، وعبدان اليوم مدينة تسبح فى الذهب ..

الذهب الاصفر الذى يغدقه عليها الذهب الاسود !

وهكذا أصبحت شركة البترول الانجليزية الايرانية — دولة داخل الدولة — بل لعلها وحدها أصبحت الدولة فى ايران

٥ — الرجل القوى صرعه البترول

ثم جاءت الازمة الاخيرة

وقال لى مستر نورثكروفت ، مدير شركة البترول المقيم فى طهران ، وكنا لا نزال فى مكتبه :

— كانت المطامع والدسائس تتربص دائما ببترول ايران

وسكت يصغى الى أصوات الهتافات الطائرة فى جو « خيابان سباه » المزدحم بالمتظاهرين ، واستطرد :

— مطامع ودسائس من كل ناحية ، من داخل ايران ومن خارجها ، ومن الاعداء والاصدقاء ، بل من الاصدقاء قبل الاعداء !

ومضى مستر نورثكروفت الى تفصيلات الازمة فقال :

« كانت بداية الازمة فى يوم ٢٢ اكتوبر سنة ١٩٤٧

وانطلقت الشرارة الاولى من « مجلس ملى » — مجلس النواب الايرانى — وكان هذا المجلس قد انهمك فى مناقشة عن البترول على أثر طلب كانت الحكومة الروسية قد تقدمت به لتحصل على امتيازات للبحث عن البترول فى شمال ايران فى الجزء الملاصق للحدود الروسية ، واتخذ المجلس قرارا برفض الطلب الروسى ، وكان مفروضا أن ينتهى الامر عند هذا الحد ، ولكن بعض النواب قدموا اقتراحا مفاجئا ، قالوا فيه :

« أن المجلس فى نفس الوقت الذى يقرر فيه رفض منح

امتيازات جديدة لاى رأسمال أجنبى للبحث عن البترول فى ايران ، يتوجه الى رئيس الوزراء برغبته فى ان يشرع فورا فى مفاوضة شركة البترول الانجليزية الايرانية لرفع نصيب ايران فى بترولها »

واذا الاقتراح يحصل على غالبيـــة فى المجلس ، ولا تجد الحكومة القائمة فى ذلك الوقت مفرا من أن تبدأ اتصالاتها مع شركتنا تنفيذا لرغبة المجلس

ومضى المستر نورثكروفت يقول :

« ولم نجد ما يمنعنا من ان ندخل فى مفاوضات مع حكومة ايران ، وكان املنا قويا فى الوصول الى حل عادل معقول لاننا كنا نؤمن من اعماق قلوبنا بحق ايران فى تعديل الاتفـاق ، وفى ذلك الوقت كانت هناك وزارات تذهب ووزارات تجىء ، وكـان المتفاوضون امامنا يتغيرون وتتغير لهجاتهم وآراؤهم ، ولكننا نحن لم نتغير ، ولم تضعف رغبتنـا فى الوصول الى اتفاق ، وحاولنا أن نكون منصفين ، وفى أكثر من مرة عرضنا على الايرانيـين شروطا قلنا لهم ونحن نقدمها اليهم :

ـ هذا آخر ما عندنا ، فاذا لم يعجبكم فنحن نأسف ، ولكننا لن نزيد عليه ريالا واحدا ، بل سنظل ملتزمين حدود الاتفاق القديم ، ولن نقبل فيه كلاما ، وأنتم وشأنكم

ولكننا كنا نعود فنتراجع بدافع الرغبة المخلصة فى الوصول الى اتفاق

ثم وصلنا اخيرا مع حكومة السيد ساعد محمد ساعد ـ الحكومة السابقة على حكومة « رزم آراه » ـ الى مشروع اتفاق نهائى يرفع حصة ايران فى أرباح الشركة الى أكثر من ثلاثين فى المائة ، وعرض المشروع الجديد على المجلس للموافقة عليه قبل

توقيعه فقرر المجلس تأليف لجنة خاصة لبحث تفصيلاته على أن تقدم له تقريرا بنتيجة بحثها

وتوقف « نورثكروفت » وطال صمته وهو يعبث بأوراق على مكتبه ، ثم عاد الى الكلام :

ـ هذه هى الخطوط الرئيسية لسير الازمة الى ما قبل التطورات الاخيرة ، ولكى أكون دقيقا أذكر لك أنه لم يكن فى هذا كله حتى ذلك الوقت ، ما يصح أن يطلق عليه وصف أزمة ، انما جاءت الازمة بعد ذلك » !

وقررت القوى الرهيبة التى تتصارع فى ايران أن البترول هو الميدان الذى يجب أن تخوض فيه معركتها الكبرى فاذا مشروع الاتفاق المعروض على لجنة البترول فى المجلس يصبح هدفا لتأثيرات ومناورات خفية

وبدأت اللجنة تعترض على مواد المشروع مادة بعد مادة ، ثم اذا هى فى نهاية الامر تعصف بالمشروع كله ، ويكتب رئيسها الدكتور محمد مصدق ـ رئيس الكتلة الوطنية فى المجلس ـ ورئيس الوزارة الآن ـ تقريرا يقول فيه : ان اللجنة ترى خير عمل هو « تأميمَ البترول »

وكانت القنبلة .. وسقطت وزارة السيد ساعد محمد ساعد التى أعدت مع الشركة مشروع الاتفاق ، وجاءت وزارة رزم آراه ... اقوى رجل فى ايران ..

وهز نورثكروفت رأسه فى أسى وقال :

ـ ولقد رأيت بعينيك ماذا حدث للرجل القوى !!

الفصل الثالث

التجربة وحدها هى التى تبين أين هو الضعف وأين هى القوة ؟ واذكروا ان السلاسل الحديدية الهائلة تتساوى مع خيوط العنكبوت الرفيعة ، اذا لم يكن ثمة ضغط عليها !

« بيتشر »

جولستان وسط العواصف خطـاب بخط
الامبراطور ــ مؤامرة على العرش ــ أخرج من
هنا ــ مقاومة سلبية ــ تحت صورة لينين ــ
السفير البريطانى مسئول ــ مقترحات بعد الأوان
ــ أسئلة واجوبة ــ ليست بهذه البسـاطة ــ
ايها الكلاب اخرجوا واتركوا البترول لنا !

١ ـ ارملة غلبتها الدموع

لم يكن الجنرال رزم آراه اقوى الرجال في ايران فحسب ، بل كان ايضا أسوأهم حظا

كانت العواصف تهب على قصر جولستان ـ مقر رئاسة الوزارة الايرانية ـ من كل الاتجاهات ، والصواعق تنقض عليه من كل الآفاق

وكان مقعد رئيس الوزراء أشبه ما يكون بكتلة متفجرة ترتكز على دعائم من اصابع الديناميت !

وفي تلك الظروف جلس رزم آراه على مقعد رئيس الوزراء !

وكان هناك من يشفق عليه ولكن الغالبية كانت تقول :

ـ انه وحده رجل الموقف ، وهو وحده القوى القادر الذي يستطيع ان يصد الطوفان !

وكان سجل رزم آراه حتى ذلك الوقت حافلا

ولقد جلست في غرفة مكتب رزم آراه في بيته ، وكانت أرملته وشقيقها وأحد أقارب الجنرال جالسين معي ، وقالت الأرملة الملفوفة في السواد :

ـ أمامك أوراقه ، تأملها كما تريد ، اني أتمنى أن تعرفه كما كان فعلا ، لكيلا تصدق فيه كل ما يقال عنه

وأشارت أرملة رزم آراه الى دولاب كبير مليء بالكتب :

ـ هل ترى هذه المجموعة من المؤلفات العسكرية ، انها دائرة معارف فنون الحرب ألفها هو ، وهي تدرس اليوم في كلية الحرب في طهران ، وتدرس في غيرها من الكليات الحربية في العالم

ان زوجى لم يكن ضابطا عاديا ولكنه كان أستاذا من أساتذة العلوم العسكرية ، أستاذا له مدرسة خاصة ، وله نظريات خاصة

وانهمكت الارملة الملفوفة فى السواد فى فتح درج من أدراج مكتب الجنرال القتيل ، وهى تقول :

ــ وكان زوجى مواطنا مخلصا لوطنه : ايران

واستقرت يدها على ملف داخل أحد الادراج فأخرجته واستطردت :

ــ اقرأ هذا الخطاب

وناولتنى خطابا يعلوه الشعار الامبراطورى لأسرة بهلوى ومضت تقول :

ــ لقد جاء يوم فقد وطنه قطعة من أراضيه ... ولاية اذربيجان ، التى أقام فيها الشيوعيون حكومة ثورية منفصلة عن حكومة ايران

ولم يكن للازمة الا زوجى ، فكلفه الشاه بأن يعيد الى ايران القطعة الغالية من أرضها التى توشك أن تقتطع منها

وسكتت الأرملة وهى تهز رأسها ألما ثم قالت :

ــ والآن اقرأ هذا الخطاب !

وكان الخطاب كما يلى بخط اليد :

عزيزى الجنرال رزم آراه

لقد اديت لوطنك العزيز خدمة جليلة لن تنساها لك الاجيال القادمة من شعب ايران الوفى ، فالحق ان المجهود الذى قمت به باعادة الامن والنظام الى اذربيجان العزيزة التى كادت المطامع والاهواء تعصف برباطها مع أرض الوطن ــ مجهود عظيم ضخم الآثار

وانى لشديد العرفان لهـذا العمل الذى قمت به وقام به ضباطك وجنودك البواسل وانى اذ أوجه لك شكرى وتقديرى — مع هـذا العرفان — ارجو ان تبلغهما فى نفس الوقت الى الجنود والضباط التابعين لرئاسة أركان حربك

محمد رضا بهلوى — امبراطور ايران

وخذ هذه !

وكان الصوت ، صوت الأرملة المتشحة بالسواد ، وهى تناولنى صورة للامبراطور كتب صاحب الجلالة بخطه تحتها :

عزيزى رزم آراه

رمز اعجابى وتقديرى لميزاتك الكبيرة ، وولائك وتفانيك فى خدمة ملـكك وبلادك

محمد رضا بهلوى

وكان الأسى قد غلب الأرملة ففاضت دموعها ،واجهدت نفسها وهى تحبس الدموع بين شهيق ونشيج حتى استطاع صوتها أن يطاوعها على الكلام :

— انى أرجوك أن ترى كل شىء بنفسك وأن تبحث وتدقق كما يروق لك ، انى يائسة من انصاف زوجى هنـا ، فلتجـد روحه العدالة فى بلد آخر حتى ينجلى وجه الحق فى وطنـه : ايران

واستطردت الأرملة :

— ما أكثر ما يتقولون عنه اليوم ، لقـد ظهرت فجأة أشياء غريبـة ما سـمعنا بهـا الا بعد ان ارتمى المسكين جثـة هامدة على الارض

وتشنجت يدا الأرمـلة وهى تسألنى :

— هل سمعت حكاية المؤامرة التى زعمـوا انه كان يدبرها

ليجلس على عرش ايران ! لقد زعموا انه كان يجتمع بالجنرالات مهتدى ، وخنصرى ، وهـدايت لهذا الغرض فهل يمكن ان تدخل مثل هذه الأكذوبة فى راس عاقل ؟ ...

هل يتصور احد ان الجنرال رزم آراه بتاريخه الحافل يتآمر على امبراطوره ؟

ثم أين كان يجتمع بالجنرالات مهتدى وخنصرى وهدايت ... اين ومتى ؟!

وانفلتت الأرملة خارجة من الغرفة فقد قهرها سيل الدموع !

٢ - تحت صورة لينين

قال لى أحد السفراء الاجانب فى طهران :

ـ لقد قضى الجنرال رزم آراه أربعـة اشهر كاملة فى قصر جولستان ، ولست أعرف كيف قضاها ولكنى أؤكد لك أننا نحن الدبلوماسيين فى طهران ، قلنـا جميعا : انه لن يستطيع البقاء أكثر من ثلاثة أيام !

ومضى السفير الأجنبى فى طهران يقول ، وهو يشعل سيجارا فاخرا :

ـ ولكن رزم آراه كان ملاحا ماهرا .. فقد ظلت وزارته على قمم امواج الحوادث الهوج تعلو وتهبط وتتعثر وتدور كقـارب تائه ، ولكنه قارب متين !

ولقد ظل القارب التائه يقاوم ، الا ان الانواء تكاثرت عليـــه ، وأحرقت الصـواعق شراعه فانقلب وتحطـم على صـخور الأزمات ! »

لقد بدات العاصفة الاولى التى واجهتها وزارة رزم آراه فى

نفس الدقيقة التى أمره الشاه فيها بتأليف الوزارة

كان الظرف دقيقا ، والحوادث عاتية ...

وقال الانجليز : انه لابد من رجل قوى لمواجهة الحالة

وقال الامريكان : ان الموقف فى حاجة الى يد من حديد

وقال كل مستشارى الشاه : انه لابد من عمل شىء سريع

وقال جلالة الشاه : أن الرجولة القوية ، واليد الحديدية ، والعمل السريع ، ليس لها الا رجل واحد فى ايران هو : رزم آراه

واتفق الجميع : الانجليز والامريكان ومستشارو الشاه ، على أن رزم آراه ، هو كل هذه الاشياء مجتمعة

واصدر الشاه أمره اليه بتأليف الوزارة ـ دون أن يحصل على موافقة مجلس النواب ، كما تقضى بذلك التقاليد الدستورية فى ايران

واستجمع رزم آراه أعصابه ليواجه الموقف فكان طلبه الاول من الامبراطور أن يصدر أمر تعيينه رئيسا للوزراء بوصفه « الحاج على رزم آراه » وليس الجنرال رزم آراه ، وكان لقب « الحاج » ملكا لرزم آراه ولوانه لم يزر البيت الحرام فى حياته ، ذلك أن التقاليد فى ايران تقضى بأن يصبح كل الذين يولدون ليلة وقفة عرفات « حجاجا » ، وكان الجنرال رزم آراه من مواليد ليلة عرفات !

وخلع الجنرال ملابسه العسكرية ليرتدى الملابس المدنية

وهكذا دخل مبنى المجلس فى اليوم التالى لتأليف وزارته ليواجه النواب شخصا جديدا ...

اسمه : الحاج على رزم آراه ، ولاعلاقة له بالجنرال رزم آراه !

صناعته : رئيس وزارة يرتدى الملابس المدنية ، ولا علاقة له بذلك الذى كان يرتدى ملابس رئيس هيئة أركان حرب الجيش

الايرانى منذ يوم واحد !

وكان المجلس يدخر له استقبالا مثيرا ، فهبت فى وجهه صيحات النواب :

— أخرج من هنا الى الذين أرسلوك

— نحن لا نقبل أن تكون رئيس وزارة

— أنت رجل عسكرى ولا علاقة لك بالسياسة

— ألهذا كنت تعمل وتقوى مركزك طوال الاعوام الثمانية المتعاقبة التى قضيتها رئيسا لهيئة أركان الحرب يا رزم آراه

— أخرج يا صنيعة الانجليز والامريكان

— هذه الملابس المدنية لاتخدعنا ، أنت عسكرى وليس لك حق أن تبقى هنا !

وكان رزم آراه ينظر الى كل هذا ويبتسم ، وقال لى أحد أعضاء الكتلة الوطنية المتطرفة فيما بعد :

— أعترف لك أن رزم آراه استطاع أن يسيطر على أعصابه ، واستطاع بهذا أن يسيطر على الموقف !

ولم يكن فى طاقة النواب أن يصنعوا شيئا الا أن يقبلوا الوضع ولكنهم صمموا فى نفس الوقت على المقاومة السلبية ، وطوال مدة حكم رزم آراه لم يخرج من مجلس النواب مشروع واحد !

وقال لى دبلوماسى امريكى فى طهران :

— « لقد كان رزم آراه لغزا ، كنا نظن عواطفه متجهة نحونا ، ولكنه كان حريصا على أن يبدد هذا الظن فاذا هو يقابل الرفيق سد تشيكوف الروسى أول من يقابل من السفراء »

ويظهر ان رزم آراه أحس أن تهمة صداقة الانجليز والامريكان تحلق فوق رأسه فأراد — دفعا للظنون على ما يظهر — أن ينفيها

واذا هو من اول مقابلة بينه وبين سد تشيكوف يقترح عليه مشروع معاهدة تجارية بين روسيا وايران !

وبدات المفاوضات ثم انتهت سريعا الى اتفاق، ونشرت صورة للجنرال رزم آراه جالسا بجوار سد تشيكوف وهمايوقعان معا المعاهدة التجارية الجديدة ووراءهما صورة للرفيق لينين يقرا جريدة برافدا، وهى صورة كبيرة معلقة على أحد جدران السفارة الروسية فى طهران !!

ومضى رزم آراه أكثر من هذا فى مجاملة موسكو

كانت هناك ثمانية أطنان من الذهب استولى عليها الروس اثناء احتلالهم المشترك لايران وادعوا أنها ستبقى فى موسكو امانة لحساب ايران ، وطالبت حكومات ايرانية متعاقبة بهذه الكمية من الذهب ، ولكن رزم آراه فى اتفاقه التجارى مع الروس نزل عنها !

ومجاملة اخرى !

كان هناك أكثر من ثلاثين ضابطا وجنديا ومدنيا لجأوا الى ايران من حدودها المشتركة مع روسيا ، عبروا الحدود ذات يوم وقالوا انهم هاربون من الحياة فى الاتحاد السوفيتى وأنهم يطلبون أمانا ومأوى ، وكانت الحكومات الايرانية السابقة قد منحتهم ما طلبوه ، واذا رزم آراه ، دون سبب ، ودون نتيجة ! يسلمهم الى حكومة موسكو

واتهم رزم آراه بأنه خان أبسط واجبات الوفاء بتسليم هؤلاء اللاجئين ، ولكن — وكما قال لى أحد أصدقاء رزم آراه — لم يجد الجنرال القتيل بدا من هذه الخطوة ليثبت حسن نيته تجاه الذين اتهموه بأنه صنيعة الانجليز

ومجاملة ثالثة أو رابعة !

كان ثمانية من زعماء حزب توده الشيوعى ، معتقلين في سجن « زندان قصر » شمال ايران وكان بينهم الزعيمان الشيوعيان « الدكتور يزدي والدكتور جودت .

ثم وقعت حادثة غريبة في سجن « زندان قصر » !

دخلت السجن مساء أحد الايام سيارة بوليس يركبها ضابط ايراني ذهب الى مأمور السجن وقال له : « انه قادم من وزارة العدل ليتسلم المسجونين الشيوعيين للتحقيق معهم » . وقال مأمور السجن أمام وكلائه وأعوانه انه سيسلم المسجونين للضابط على شرط أن يصحبهم بنفسه الى التحقيق ليعود بهم الى السجن بنفسه - مبالغة في الاطمئنان - بعد انتهائه

وركب الجميع : مأمور السجن والضابط والشيوعيون سيارة البوليس ، ومن ساعتها اختفوا جميعا .. ويقول خصوم رزم آراه :

- هل يعقل أن يهربوا بهذه البساطة لولم تكن الخطة مدبرة بين رئيس الوزراء والسفير الروسى ؟ !

٢ - السفير البريطاني مسئول

وجاء دور مشكلة رزم آراه الكبرى ، « مشكلة تأميم البترول » التى قدر للهتاف بحياتها فيما بعد أن يقترن بطلب ذهاب روحه الى الجحيم

وليس لرزم آراه تصريح واحد محدد ضد تأميم البترول ولكن الذى لاشك فيه أيضا ان الرجل لم يكن مؤمنا باستطاعة ايران أن تقدم على التأميم الآن!

ولقد ظهر ضعف ايمان رزم آراه بفكرة التأميم على شكل مجموعة من الاسئلة وجهها الى لجنة البترول ، وكانت لتلك الاسئلة قصة ،فقد حضر الجنرال يوما مناقشة للجنة ، ثم قال ان لديه أسئلة يريد ان يفهم من الاعضاء الموقرين اجابتهم عليها قبل أن يصدروا قرارهم

وطلبت اللجنة من الجنرال أن يقدم أسئلته مكتوبة ليدرسها الاعضاء فقال الجنرال انه سيفعل ماهو أكثر من هذا ...

سيقدم الاسئلة مكتوبة ،وسيقدم أيضا - مبالغة فى مساعدة اللجنة - أجوبة هذه الاسئلة على ضوء معلوماته ،وعلى اللجنة أن تصحح له ماتراه خطأ فى الاجوبة ، ثم تدرس الاسئلة والاجوبة معا وتقرر على ضوء دراستها ماتراه فى اقتراح التأميم .

وكانت الاسئلة واجاباتها خيوطا من الشك أحكم نسجها معا لتسدل ستارا على فكرة التأميم

وكان بين هذه الاسئلة مايلى :

- ما هى قيمة المرتبات التى تدفعها الشركة للعمال الايرانيين فى السنة ؟

وكانت الاجابة التى قدمها الجنرال على هذا السؤال :

● قيمة المرتبات التى تدفعها الشركة لعمالها الايرانيين هى ٢و٨٠٠ مليون ريال فى السنة

وسؤال ثان جاء فيه :

- كم عدد العائلات الايرانية التى تعيش بطريق مباشر وبطريق غير مباشر على موارد شركة البترول ؟

والاجابة

● هناك ٦٣ ألف أسرة تعيش مباشرة على موارد شركة البترول

وهناك ١٢٠ الف أسرة تعيش بطريق غير مباشر عليها
وسؤال ثالث :
- كم ستكسب الخزانة الايرانية من الشركة هذا العام بناء على الاتفاق الاضافى ؟
والاجابة :
● ان الخزانة الايرانية ستربح ٨ ملايين جنيه استرلينى هى نصيبها عن سنة ١٩٤٩ التى يشملها اتفاق التعديل الجديد . هذا عدا مبلغ ١١ مليون جنيه قيمة نصيبها عن سنة ١٩٥٠
وسؤال رابع
- ماهو ثمن منشآت الشركة الآن وماذا يمكن ان ندفعه من تعويضات نظير استيلائنا عليها ؟
والاجابة :
● اذا نظرنا الى ميزانيات الشركة تبين لنا أن المنشآت التى لم يستهلك ثمنها بعد فى الميزانيات المتعاقبة تقدر قيمتها الاسمية بـ ٢٧ مليون جنيه ، ولكن التعويضات التى يتعين دفعها هى ٥٠٠ مليون جنيه فى أكثر الظروف مدعاة للتفاؤل فى رأى الخبراء الايرانيين
وسؤال خامس :
- ما هو المبلغ الذى يلزمنا للتشغيل الاولى لانتاج البترول اذا قررنا التأميم
والاجابة :
● يلزمنا على الفور ، وعلى أقل تقدير ، مبلغ ٧٠ مليون جنيه
وسؤال سادس :
- هل نستطيع عقد قرض بكل هذه المبالغ التى تلزمنا لشراء المنشآت والتعويض عنها ، وتشغيل الانتاج ، بفرض أقدامنا

على التأميم ؟

واذا حدث هذا واستطعنا عقد قروض بهذه المبالغ كلها فهل نستطيع سدادها قبل سنة ١٩٩٣ وهى السنة التى ينتهى فيها امتياز الشركة اتوماتيكيا ويصير كل ماتملكه من منشآت حقا خالصا للحكومة الايرانية ؟ !

وترك الجنرال هذا السؤال لأعضاء لجنة البترول يتولون الاجابة عليه

ورد لى الدكتور محمد مصدق رئيس الوزارة الآن ورئيس لجنة البترول فى ذلك الوقت على هذا السؤال وكنت قد سعيت للقائه فى حجرة المعارضة بمجلس النواب الايرانى

قال لى الدكتور مصدق ـ أومصدغى كماينطقها الايرانيون:

ـ كان رزم آراه يرى أن ندفع للشركة ٦٠٠ مليون جنيه وانا اقول ان الشركة لاتستحق الا سدس هذا المبلغ ذلك لانى اومن ان عقد مد الامتياز الذى عقد سنة ١٩٣٣ فى عهد الشاه رضا بهلوى، اتفاق باطل لانه تم فى عهد دكتاتورى كممت فيه المعارضة وأخرس لسانها ، وليس أدل على ذلك من ان السيد تقى الدين زاده رئيس مجلس الشيوخ الحالى وهو الذى وقع باسم ايران اتفاقية سنة ١٩٣٣ سئل أخيرا :

ـ لماذا وقعت هذا الاتفاق ؟

وقال السيد زاده : لقد صدر لى الأمر ان أوقع.. فوقعت

وضرب الدكتور مصدق بيده على مكتبه ثم قال :

ـ واذن فان هذا الامتياز ، باطل منطقا وقانونا ، ولايبقى مايربط ايران بالشركة الانجليزية سوى اتفاق دارسى القديم الذى كان مقررا أن ينتهى بعد عشر سنوات ، وهو ينص على ان كل ممتلكات الشركة تصبح فى نهايتها حقا خالصا لحكومة ايران،

واذن فقد استهلكت الشركة حتى الآن خمسة أسداس حقوقها ولم يبق لها الا السدس فى العشر السنوات المقبلة ونحن على استعداد لتعويضها عنه ...

ثم هز الدكتور مصدق رأسه قائلا :

ـ لا اظن ان ايران تعجز الآن عن اقتراض مائة مليون جنيه بضمان بترولها

وكانت الكتلة الوطنية قد ابلغت رايها هذا الى رزم آراه ، ولكن الجنرال ضرب كفا بكف و قال :

ـ ان المسألة ليست بهذه البساطة

وثمة حقيقة ينبغى ان تقال وهى انه اذا كان رزم آراه ضعيف الايمان بامكان تأميم البترول ، فقد كان فى نفس الوقت قوى الايمان بحق ايران فى ان تحصل من أرباح بترولها على نصيب اكبر مما كانت تحصل عليه ، وكان يقول :

ـ لو ان الشركة قاسمتنا أرباحها بالنصف ، لاستطعت ان اواجه المجلس واواجه الشعب !

وعند ما يكتب تاريخ هذه الفترة الحرجة فى ايران ، سوف يمسك المؤرخون بتلابيب السير فرنسيس شبرد السفير الانجليزى فى طهران ، ويحملونه تبعة دم رزم آراه !

ووراء هذا سر دفين من أسرار الازمة فى ايران سمعت تفصيلاته من أحد كبار المسئولين فى البلاط الملكى الايرانى

«كان الجنرال رزم آراه قد قابل السفير الانجليزى السير فرانسيس شبرد فى اواخر شهر فبراير الماضى ـ ١٩٥١ ـ وأوضح له الصعوبات التى يواجهها ، و قال الجنرال للسفير :

ـ انه يرجوه ان يبلغ الحكومة البريطانية ـ صاحبة المصالح الكبرى فى شركة البترول باعتبارها مالكة لـ ٥٢ فى المائة من

اسـهمها ـ انه ما لم يرفع نصيب الحكومةالايرانية من ارباح البترول الى ٥٠ فى المائة فان الموقف أمامه ـأى رزم آراه ـ سيكون عصيبا تستحيل مواجهته!

واقتنع السفير على ما يبدو بموقف الجنرال فأبرق لحكومته بتفصيلات المقابلة وردت الحكومة البريطانية ـ وكان ذلك فى أول مارس ـ بأنها رغبة منها فى حل الازمة تقبل ، بعدة اشتراطات ، الموافقة على رفع نصيب الحكومة الايرانية فى أرباح الشركة الى ٥٠ فى المائة !

ولكن السير فرانسيس شبرد السفير البريطانى لم يقدم هذا العرض على الفور بل احتفظ به فى خزانة السفارة ليساوم به، أو ليراقب التطورات قبل تقديمه ويختار اللحظة الملائمة المؤثرة!

ومن سوء الحظ أن الامور تطورت بأسرع مما قدر السفير البريطانى ، فاذا رزم آراه يقع صريعا فى ساحة مسجد الشاه، وبعد مصرعه بأربعـة أيام رأى السفير أن يواجه الأزمة الحادة فقدم عرض الحكومة البريطانية

وحمـل السفير برقية الحكومة البريطانيـة وذهب ليقـابل جلالة الشاه فى قصر المرمـر وليتصل بالمسئولين ، وظهر ان البرقية أرسلت الى السفير منذ خمسة عشر يومـا ثم اتضحت الحقيقة .

ومن سوء الحظ ان الجنرال كان قد فقد حياته وكان العرض كذلك قد فقد قيمته لأن زمام الموقف أفلت ، ولما تسرب نبأ العرض البريطانى الى شوارع طهران واذاعته فى نفس الوقت محطة الاذاعة البريطانية ، أحس الرأى العام الايرانى بضعف مركز الانجليز وقوة حجة المطالبين بالتـأميم وارتفع صـوت الزعيم الايرانى آية الله كاشانى يهدر قائلا :

ـ أيها الكلاب الانجليز . . لا نقبل أى اتفاق معكم . . .
اتركوا لنا بترولنا واخرجوا من بلادنا ! !


آية الله كاشانى
ومحمد حسنين هيكل



آية الله يستمع
الى أخبار هامة



أخبار مهمة من
عبدان فى الجنوب



قبلة على يد
آية الله كاشانى



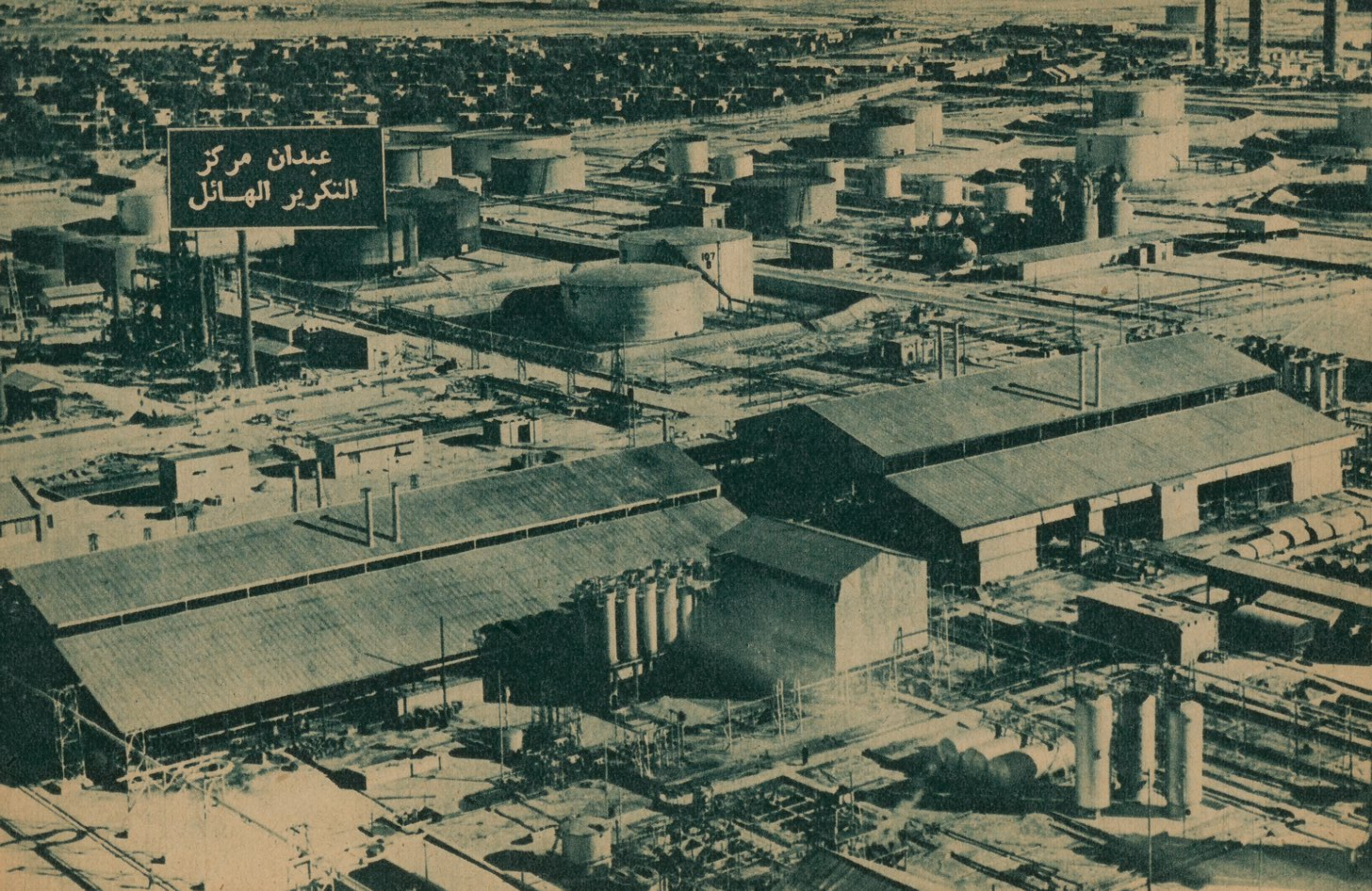
رزم آراه رئيس
هيئة أركان الحرب



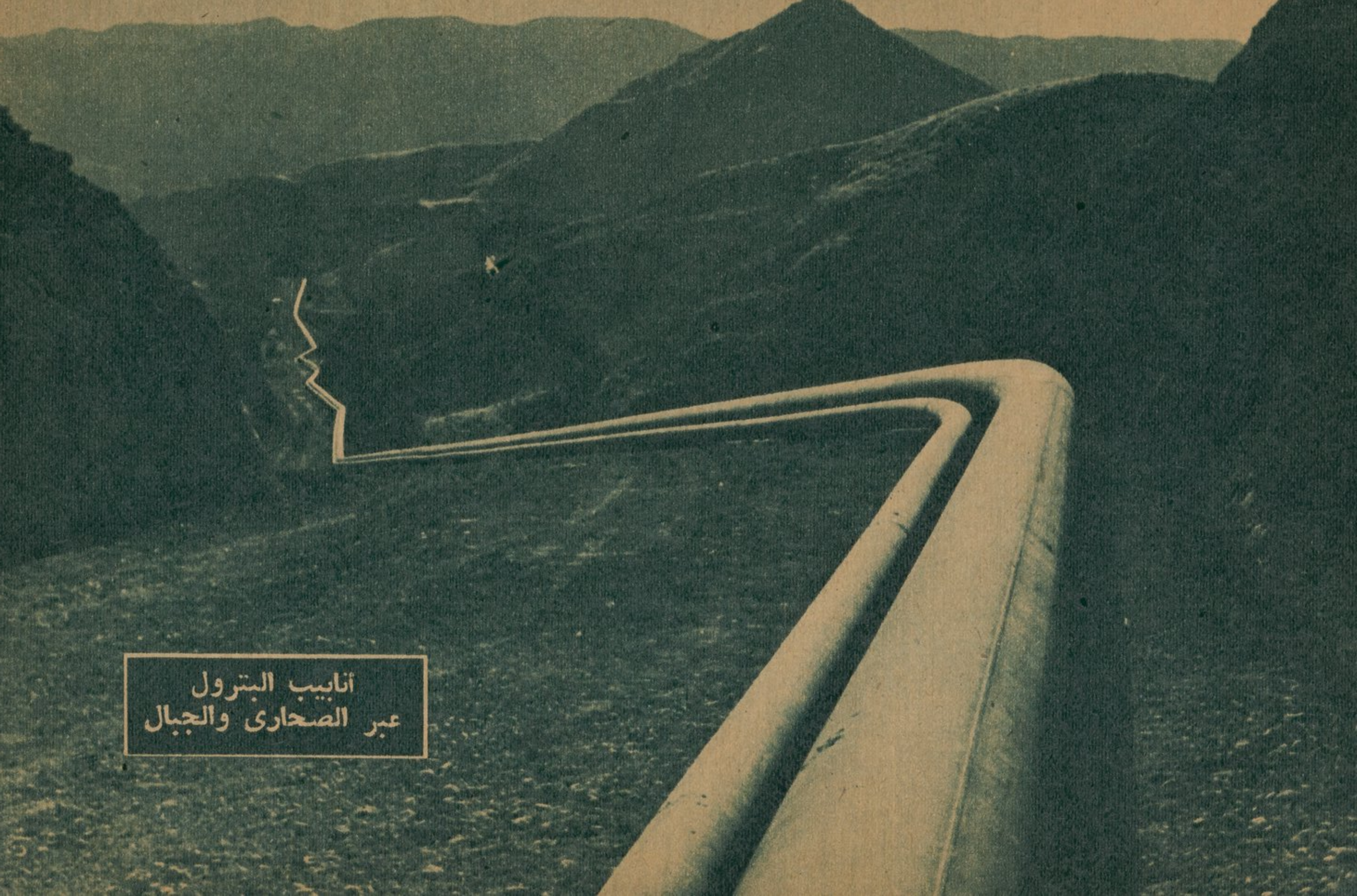
الحاج على رزم آراه
رئيس الوزراء



بترول ايران فى طريقه
خارج ايران



عبدان مركز
التكرير الهائل



أنابيب البترول
عبر الصحارى والجبال


عائلات عمال البترول
من قبائل بختيارى



رزم آراه يوقع اتفاقا
مع سدتشيكوف الروسى



رزم آراه يتباحث
مع هنرى جرادى الامريكى



حارس مسجد سپاه سالار ، يعرف كل الاسرار



احاديث فى السياسة
فى « سباه سالار »



طلبة العلوم الدينية ..
وسط فدائيان اسلام



وجاء خليل طهمسبي
قاتل رزم آراه

الفصل الرابع

ماذا يهمنى عن القانون ؟

ألست أملك القوة ! ؟

« كورنيليوس فاندر بلت »

هات الكفن ـ ثالوث فى الثورة ـ ماهودور السفارة الامريكية ؟ ـ خمس مايملك المؤمنون ـ التراب الذى يمشى عليه آية الله ـ فدائيان اسلام ـ الدهاليز الملتوية ـ على كل واحد ان يركع ـ أين القرآن ـ آية الله غاضب ـ حديث مع صحفى اجنبى ـ أهم رجل بعد هتلر ـ عتاب على مصر !

١ ـ سيد الموقف فى طهران

كان صوت آية الله أبو القاسم كاشانى يدوى فى جميع انحاء الدنيا وهو يهدر :

ـ أيها الكلاب الانجليز ، اتركوا لنابترولنا واخرجوامن بلادنا!

وكانت الرصاصات الاربع التى صرعت رزم آراه قد حققت لآية الله كاشانى السيطرة الكاملة على الموقف فى طهران

وكانت شوارع العاصمة الايرانية فى تلك اللحظات العصيبة تروى أساطير طائرة عن آية الله ! وأول ما كانت ترويه طهران من أساطير ، حكاية المظاهرة التى أمرها آية الله بأن تزحف على البرلمان يوم مناقشة موضوع التأميم

لقد تجمع أكثر من مائة ألف متظاهر ، وراحوا يصرخون ويصيحون فى كل الشوارع المؤدية الى ميدان بهارستان حيث مقر البرلمان ، وأشيع فى طهران ان البوليس تلقى أمرا باطلاق النار اذا تجاسرت المظاهرات واقتربت أكثر مما ينبغى من دار البرلمان، وسرى فى صفوف المتظاهرين تردد وصل خبره الى آية الله كاشانى فاذا هو يصرخ فى ابنه السيد محمد كاشانى قائلا :

ـ هات الكفن !

وجاءه ابنه بالقماش الذى أعده لكفنه وبدأ آية الله يغتسل ويتلو الصلوات على جسده ، ثم لف نفسه فى الكفن.وخرج مستعدا ، للقاء الموت

وكانت قصة الكفن قد سبقته الى كتل المتظاهرين فأحالتها الى كتل من البارود ثم برز آية الله فى كفنه فكان النار التى أشعلت البارود ، واذا شوارع طهران تغلى بالحمم واللهب ، وتقدمت

المظاهرة كأنها القضاء والقدر الى مبنى البرلمان ..

وحين وصلت اليه كانت بنادق الجيش والبوليس قد أدارت فوهاتها ، بناء على الاوامر التى وردت من قصر المرمر بأن لامقاومة للمظاهرة التى يقودها آية الله !

وقصة آية الله كاشانى قصة بسيطة ، ولكنها قوية ، قوة الاعصار !

اسمه الحقيقى ابو القاسم كاشانى ـ نسبة الى قرية كاشان التى ولد فيها وهى من مقاطعة خراسان

وأما آية الله فلقب أسبغه عليه أنصاره مبالغة فى اظهار تفانيهم فى طاعته

واسرة «كاشانى» اكبر أسرة فى مقاطعة خراسان ولها السيادة الدينية الكاملة على سكانها «وآية الله كاشانى» ابرز شخصيات اسرته والوارث المباشر لمجدها القديم كله ..

ولمع اسم أبى القاسم كاشانى فى مدينة « قم » المركز الشيعى الدينى الكبير فاذا هو يصبح أقوى زعماء الشيعة نفوذا وجاها ، وكانت مقدرته العجيبة تتركز ـ بعكس باقى رجال الدين ـ فى اقدامه المندفع على تنفيذ ما يريد

واتجه ابو القاسم كاشانى الى السياسة فاذا صيته يتغلغل بين القبائل ، ويمتد عبر حدود ايران الى افغانستان شرقا ، والى العراق غربا ، ويجىء الوقت الذى يصبح فيه آية الله الزعيم المطلق للشيعة كلها

ويشتهر آية الله بعدائه الشديد للانجليز . فلما قامت ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق ضد الانجليز سنة ١٩٤١ كان آية الله كاشانى هو دعامة الثورة الروحية ، وكان الثالوث الضخم الذى يحكم بغداد فى تلك الايام ، يضم رشيد عالى

الكيلانى قائد الثورة ، والحاج امين الحسينى مفتى القدس الاكبر ، وآية الله كاشانى زعيم الشيعة القوى

وفشلت ثورة الكيلانى ، فاذا آية الله كاشانى يصحب معه زميليه - الكيلانى والحسينى - ويخترق بهما حدود العراق الى ايران ... أو الى السلامة والامان !

ولما دخل الانجليز ايران كان اول ما فعلوه فى طهران محاصرة بيت آية الله كاشانى بالدبابات والسيارات المصفحة ثم نفيه خارج ايران

واختار آية الله ان يستقر فى لبنان حتى لايفصل بينه وبين ايران الا حدود سوريا وحدود العراق ، ولم يفقد اتصاله ابدا بأحداث وطنه ، بل لعل علاقته بالاحداث كانت اكثر من مجرد اتصال ، فان آية الله كاشانى انتخب وهو فى المنفى نائبا فى مجلس النواب الايرانى ممثلا لاحدى دوائرطهران الانتخابية !

ولم يكن هناك معنى لان يبقى فى المنفى رجل انتخب فى غيابه عضوا فى مجلس النواب ، فأرسل الشاه الى آية الله كاشانى يدعوه - معززا مكرما - أن يعود الى وطنه ، وثمة رأى سمعته من أحد السفراء فى طهران وهو رأى - أوسر - متعلق بعودة آية الله ..

قال لى محدثى السفير :

- أن السلطات الامريكية فى طهران تدخلت لكى يقبل الشاه عودة كاشانى الى ايران ، وكانت هذه السلطات الامريكية قلقة من جراء نشاط حزب توده الشيوعى وانتشار نفوذه ؛ فاتجهت الى اللعبة التقليدية . . لعبة مقاومة انتشار الشيوعية بقوة العقيدة الدينية ، وكان رجل الدين القوى ، ورجل السياسة القوى ، وعدو الشيوعية القوى ، فى نفس الوقت

هو : ابو القاسم كاشانى ، ومن هنا أسدت السفارة الامريكية رسميا نصيحتها لجلالة الشاه بأن يسمح لكاشانى بالعودة !

ومهما يكن من أمر فقد كان استقبال الشيخ العائد من المنفى استقبالا لم تر له طهران نظيرا من قبل ، تدفق أكثر من نصف مليون رجل وامرأة وطفل الى منطقة مطار مهرباد ، وداخل المطار نفسه وقف الوزراء والنواب ، ورجال الدولة صفا واحدا !

ولما خرج آية الله كاشانى بسيارته خارج مطار مهرباد ، كان هناك منظر فريد ، فان الجموع المحتشدة خارج المطار ، حملت السيارة كلها ، بركابها أجمعين ، فبدت السيارة كأنها طائرة فوق رؤوس المستقبلين !

ولم يضيع آية الله وقتا فلم يلبث ان انهمك فى تنظيم صفوفه والاستعداد للمعركة. ولم يمض غير قليل حتى كان على أتم استعداد ، فأحكم نشر نفوذه الاخطبوطى فى كل اتجاه !

كانت قوته الروحية تتغلغل الى القلوب

وكانت قوته المادية هى كل أموال الشيعة الطائلة التى تجبى من المؤمنين باسم الامام الغائب بنسبة الخمس مما يكسب كل فرد منهم

وكانت المدارس الدينية فى النجف — فى العراق — وفى قم — فى ايران — وهما أكبر مراكز التعليم الدينى للشيعة — وغيرهما من المراكز — تعيش على اموال الشيعة التى يسيطر عليها آية الله كاشانى ، وبالتالى كان طلبة هذه المدارس رسل دعاية لآية الله ، وكان خطباء المساجد وأئمتها — وهم ايضا يتقاضون مرتباتهم من أموال الشيعة — السنة تسبح فى المساجد بحمد آية الله وشكره

وبهذا كله سيطر آية الله على رجل الشارع فى ايران ، ولكنه

كان يريد أيضا ان يسيطر على البرلمان والرأى العام الواعى وراء البرلمان ، ومن هنا نشأت الكتلة الوطنية فى مجلس النواب، وكانت أقلية تتألف من عشرة نواب معظمهم تخرج فى السوربون ، جامعة فرنسا العريقة ، ولكنهم جميعا لهم آمال ومطامع ، وهكذا انضموا برئاسة الدكتور محمد مصدق تحت لواء آية الله كاشانى

ولما وقف اللورد فانسينارت الدبلوماسى الانجليزى العجوز يهاجم آية الله كاشانى فى مجلس اللوردات البريطانى ، ووقف بعده وكيل الخارجية البريطانية فوافق على أن « المهيج الارهابى » آية الله كاشانى هو سر الكوارث الواقعة فى ايران ـ لما حدث هذا أقام نواب الكتلة الوطنية الدنيا وأقعدوها فى مجلس النواب الايرانى ، هجوما على الانجليز وانتصارا لآية الله . وكان بين ما قاله الدكتور بقائى :

«ان التراب الذى يسير عليه آية الله كاشانى بحذائه، أشرف مليون مرة من رؤوس كل ساسة الانجليز » !

والعامل الاخير من عوامل نفوذ آية الله كاشانى هو جمعية فدائيان اسلام الارهابية الدينية

وهى أيضا ـ ملجؤه الاخير !

كان يلجأ أولا الى نفوذه الروحى ليحقق ما يريد

فاذا عجز النفوذ الروحى لجأ الى نفوذه الشعبى المنتشر فى المساجد على ألسنة الطلبة والوعاظ والأئمة

فاذا عجز النفوذ الشعبى لجأ الى النفوذ السياسى ممثلا فى الكتلة الوطنية فى البرلمان

فاذا عجز النفوذ السياسى لجأ الى النفوذ المادى الذى تسنده كل أموال الشيعة

فاذا عجز النفوذ المادى ، وعجز قبله كل نفوذ ، عن تحقيق

رغبات آية الله كاشانى وأهدافه ، نحى كل ذلك جانبا ، وترك الكلمة لفدائيان اسلام

وتتكلم فدائيان اسلام

كلماتها .. طلقات رصاص ...

وعباراتها ... مدافع رشاشة !!

٢ ـ القاضى يغمى عليه فوق منصته

وآية الله كاشانى هو الزعيم الروحى الأعلى لفدائيان اسلام ، ومنه تستمد الوحى وتنتظر الارشاد ، ولكنه ليس الرئيس التنفيذى المباشر لها

ولقد بدأت قصة « فدائيان اسلام » منذ ست سنوات فى مدينة « النجف » المركز الشيعى الكبير .

كان « نواب صفاوى » ـ صاحب فكرة فدائيان اسلام ورئيسها التنفيذى المباشر ـ يجلس فى مسجد الهندى بالنجف ذات صباح فوقعت فى يده صحيفة ايرانية تحوى مقالا كتبه الصحفى الايرانى المشهور « كسروى »

ووجد « نواب صفاوى » أن المقال يحمل طعنا فى الدين الاسلامى ـ أو هكذا تصور ـ فاستشاط غضبا ، وذهب الى أحد المجتهدين من أئمة الشيعة يعرض عليه المقال ويسأله رايه فيمن يكتب هذا الكلام

وقال الامام المجتهد :

ـ كافر ، ويحل قتله !

قالها الامام المجتهد ببساطة ولم يكن يدرى أن فتواه هذه ستكون أمرا بتأليف أكبر جمعية ارهابية فى الشرق !

واحتفظ «نواب صفاوى» بفتوى الامام المجتهد فى قلبه ، وحمل عصاة ضخمة فى يده وسافر الى طهران ليبحث عن « كسروى » الكافر الذى يحل قتله

واستقر « نواب صفاوى » فى مسجد « سباه سالار » - أكبر مساجد طهران - وروى لى صديق له من فدائيان اسلام انه كان يقضى يومه جالسا فى صحن المسجد على حافة البركة التى تتوسطه ، يراقب الاسماك الملونة الصغيرة وهى تسبح فى مائها المثلج، ويفكر ولا ينقطع عن التفكير فى أحسن الطرق لقتل كسروى !

وكان « مسجد سباه سالار » ملتقى لجمع من الشباب المتدينين الذين تغلى فى صدورهم براكين التعصب مشتعلة متأججة !

وهمس « نواب صفاوى » بفكرته واذا صداها يجمع حوله عددا من الزملاء الجدد هم رواد « فدائيان اسلام » الاول !

وسجلت « فدائيان اسلام » وجودها عمليا حينما هجم ثلاثة من أعضائها على كسروى - الكافر الذى يحل قتله فى رأى امام الشيعة المجتهد ! - وظلوا يضربونه بالعصى الغليظة حتى سقط على الارض ممزقا ، واعتقد أفراد فرقة الهجوم انه مات ، فانصرفوا عنه !

ولكن الحياة لم تكن بعد قد انصرفت عن جسد « كسروى » وكأن القدر يريد أن تكون لعمره بقية .

ونقل الى أحد المستشفيات ، حيث أجريت له عملية بدات الحياة على أثرها تدب الى جسده بعد أن كادت تفارقه !

وأعلنت فدائيان اسلام ان ظهر الارض قد طهر من خائن استقر جسده النجس - ! - تحت التراب ، ثم اكتشفت بعد ساعات أن وجه الارض لم يتم تطهيره .. وان كسروى لم يمت بل ان الامل كبير فى شفائه

وباتت « فدائيان اسلام » تقرض انيابها غيظا لافلات الفريسة من يدها ، ولكن صدرها امتلأ فى الوقت نفسه باحقاد جديدة انتظارا لفرصة سانحة !

وشفى كسروى وعاد يباشر حياته العادية وهو يعلم ان سيوف التهديد التى شرعتها فدائيان اسلام مصلتة فوق راسه، وكان قد احتاط لذلك فحمل مسدساوعين حارسا يتبعه كظله يحمل مسدسا آخر

وذات صباح وقف كسروى ـ وكان محاميا الى جانب كونه صحفيا ـ يترافع امام احدى الدوائر القضائية فى وزارة العدلية بطهران وفجاة تسلل الى غرفة المحكمة اربعة على راسهم نواب صفاوى نفسه ، وفى هذه اللحظة بدات الغرفة ـ غرفة المحكمة فى وزارة العدلية ـ تدوى بطلقات الرصاص وهرب الذين كانوا فى القاعة جميعا ، شهودا وحجابا ومحامين ومتفرجين واغمى على القاضى الجالس فوق منصته العالية

ولم يفلت كسروى هذه المرة فقد سقط قتيلا وفى جسده ١٢ رصاصة وسقط حارسه الذى يتبعه كظله ـ قتيلا هو الآخر ـ بينما كان يحاول اخراج مسدسه

وخرج القتلة الاربعة من دار العدلية ومسدساتهم فى أيديهم ثم ابتلعتهم مساجد طهران ذات الظلال الغامضة !

وطلعت الصحف ببيان من فدائيان اسلام تعلن فيه ان العالم قد استراح من شرور كسروى، واستراح بحق وحقيق هذه المرة ! .

وكانت المفاجاة الكبرى بعد ذلك هى خروج آية الله كاشانى الى الميدان ، فقد برز فجأة يتبنى فدائيان اسلام ، ويعلن انه يبارك قتل كسروى

ووجدت سلطات الامن فى طهران أن الموقف ينذر بالخطر فتحركت بسرعة ، وألقت القبض على نواب صفاوى وعلى نفر من أصدقائه ووجهت اليهم تهمة قتل كسروى

وبدأت المحاكمة فى جو صاخب، وكانت أيامها امتحانا عجيبا لأساليب « فدائيان اسلام » التى كانت بياناتها المتوالية تقرع صفحات الجرائد كل يوم كأنها الطبل المدوى ، ووراءها نداءات آية الله كاشانى التى تقيم الدنيا وتقعدها .

وبحثت سلطات العدالة عن شاهد اثبات واحد من العشرات الذين كانوا فى قاعة المحكمة ساعة وقوع هجوم « فدائيان اسلام » لقتل كسروى فلم تجد شاهدا واحدا يتقدم ، حتى القاضى الذى كان يجلس على منصته يباشر الاحكام بالعدل بين الناس قال انه لم ير شيئا : لقد سمع الرصاص يملأ جو القاعة ، وشاهد النار تطير من حوله ، فسقط مغشيا عليه ولم يشعر بشىء الا بعد ساعات !!

وجاء يوم النطق بالحكم على المقبوض عليهم الأربعة

وحين دخل القضاة الذين سيصدرون الحكم فى الصباح الى دار العدالة ، فوجئوا بزينات غريبة على مدخل الدار

وسأل القضاة عن سبب الزينات فقيل لهم : انها احتفال بتبرئة نواب صفاوى وزملائه

وقال القضاة : ولكننا لم نصدر الحكم بعد ..

وقيل لهم : ولكن « فدائيان اسلام » أعلنت ثقتها فى عدالتكم

وعرف القضاة ان هذه الزينات ممتدة من دار المحكمة الى بيت آية الله كاشانى الذى دعا المتهمين — الذين لم تصدر الاحكام عليهم بعد — الى الغداء فى بيته احتفالا ببراءتهم — ! —

هكذا كأن الامر قد فرغ منه وانتهى ، وكأن كاشانى هو الذى

سيصدر الحكم !!

وشاهد القضاة - أيضا ! - على باب قاعة المحكمة عددا من الخراف ، وقيل لهم ان آية الله كاشانى أمر بأن تذبح ضحية تحت أقدام نواب صفاوى وزملائه بعد خروجهم قبل الظهر من المحكمة ..

هكذا بمنتهى البساطة !..

وحين دخل القضاة ليجلسوا على منصتهم العالية فى قاعة المحاكمة وجدوا ان مقاعد المتفرجين كلها قد امتلأت بذوى الأردية البنية القاتمة واللحى المرسلة ، والعيون التى تضوى بنار التعصب الذى يصل الى حد الجنون ..

ولم يجد القضاة مفرا ولا مخرجا فنزلوا عند حسن ظن آية الله كاشانى بهم وكان حكمهم بالبراءة !

وخرج نواب صفاوى واصدقاؤه ليجدوا الخراف تذبح تحت اقدامهم أمام قاعة المحكمة وليجدوا الجموع الهاتفة تنتظرهم فى مواكب حافلة تتهادى بهم تحت الزينات وبين مظاهر الافراح الى بيت آية الله كاشانى

وكان الموقف فى حاجة الى رجل حازم ..

وبدأ « هجير » وزير البلاط يحكم الخطط والتدابير حتى تمكن من نفى «آية الله كاشانى» خارج حدود ايران .

واختار آية الله ان يقضى أيام المنفى فى بيروت

وحين وصل الى بيروت ، كانت صحف العالم تحمل أنباء غامضة عن اغتيال وزير البلاط الايرانى «هجير»

وخرجت صحف طهران بما يقطع الشك باليقين - تحمل بيانا من « فدائيان اسلام» ، وفى نفس اللحظات كان قاتل (هجير) يقف امام المحققين يقول لهم :

ـ اسمي حسين امامي ، وقد قتلت «هجير» ، بأمر من فدائيان اسلام .

وعاد آية الله كاشاني مرة ثانية الى طهران ليستقبل بعواصف هوجاء من الحماسة ، والجنون !

وظلت الامور تجرى على هذا النحو

آية الله كاشاني يعطى الوحى والالهام

ونواب صفاوي يصدر الاوامر والتعليمات

وأعاصير فدائيان اسلام تنطلق اعصارا تلو اعصار ، حتى وقف خليل طهمسبى اخيرا يقول :

ـ نعم قتلت رزم آراه بأمر فدائيان اسلام !!

٣ ـ ليخرج الانجليز الكلاب

ولقد قابلت آية الله كاشانى أربع مرات خلال الاسابيع التى عشتها فى أزمة طهران

وتم اللقاء الاول بوساطة الدكتور محمد فاطمى رئيس تحرير جريدة باختر أمروز ـ ومعناها الغرب اليوم ـ وهى الجريدة المسائية القوية التى تعبر عن راى الكتلة الوطنية ، وكان صاحبها ـ الدكتور فاطمى نفسه ـ هو أول من كتب عن ضرورة تاميم البترول !

وركبت سيارة تاكسى من «خيابان شاه» اقصد زيارة آية الله ..

وذكرت عنوان البيت للسائق ولم أزد حرفا ، والتفت السائق الى بحدة ثم قال :

ـ هل انت ذاهب الى بيت آية الله ؟ لماذا لم تقل : اذهب

الى بيت آية الله وتوفـر على نفسك حفظ العنوان .

وسكت السائق ثم استطرد وقد رق صوته :

ـ آغاى .. (أى أيها السيد) .. لاتؤاخذنى ما كان ينبغى ان ارفع صوتى امامك وانت ذاهب الى بيت آية الله !!

وتوقفت السيارة أمام البيت لأجد ثلاثة أدلاء فى انتظارى ، وقطعت وراءهم هذه الرحلة الغامضة فى السراديب المثيرة والدهاليز المعتمة ـ والتى قدر لى فيما بعد ان اقطعها ثلاث مرات أخرى ـ الى غرفة العبادة الخاصة بآية الله كاشانى !

ولم يكن صعبا ـ قبل دخولى هذه الغرفة ـ أن أعرف مبلغ ازدحامها بالناس ، فان نظرة واحدة الى مئات الأحذية المرصوصة خارجها من كل الانواع والاشكال والالوان : كافية .. بل اكثر من كافية !

ودخلت الغرفة واذا بصرى يتجه ـ فورا ـ وفى فضول عجيب ـ الى الرجل الجالس فى صدرها : ذلك الشيخ العجوز ، ذى السبعين سنة ، وذى اللحية البيضاء ، والعمامة السوداء : آية الله أبو القاسم كاشانى !

واحسست فى اللحظة نفسها بيد توضع على كتفى وتضغط عليها لأجلس على الارض ، وجلست ، ولكننى كنت لا أزال فى أول الغرفة فبدأت أعبر المسافة الى آية الله زحفا على ركبتى ، وفهمت فيما بعد ان التقاليد كانت تقضى بأن اقترب منه هكذا !

وكان جو الغرفة ساخنا من حرارة الانفاس المؤمنة التى تتردد بين جدرانها ، ومن بخار أقداح الشاى الدافئة التى تدور كل عشر دقائق على الجالسين حفاوة واكراما ، ومن النظرات الملتهبة التى تطل من عيون ذوى اللحى الكثيفة !!

واعتدل آية الله على الحشية التى كان يجلس عليها ، ووضع

فى نفس الوقت بوصلة تبين الاتجاهات ـ كان يمسك بيده ـ أمامه على الأرض والتفت الى

وكانت هناك نظرة تتألق ذكاء فى عينه ، بينما ارتسمت على شفتيه ابتسامة رقيقة عذبة مليئة بالثقة والقوة !

وقال ـ باللغة العربية ـ بلهجة فارسية غريبة :

ـ اعذرنى اذا كنت اتكلم العربية هكذا ، انى اقرؤها جيدا ولكنى أخشى ان يكون نطقى لها عسير الفهم على السامعين !

واستطرد يسألنى :

ـ ماذا رأيت فى ايران ؟

وهززت رأسى وقلت :

ـ الحق انى لم أر شيئا ، انى أعيش ـ منذ دخلت حدود ايران ـ فى ألغاز متشابكة ، أسمع فى الصباح عكس ما أسمعه فى المساء وما يقوله لى واحد ويقسم عليه، ينكره آخر بأيمان مغلظة ، ولست أعرف ماذا أقول للناس فى مصر حين أعود لو سئلت عن حقيقة ما هو حادث فى ايران ؟..

وضحك آية الله والتفت الى واحد من علماء الشيعة كان يجلس بجواره ـ يترجم له ما قلت باللغة الفارسية ثم التفت الى ، وكانت ملامحه قد بدأت تتغير

كان لمعان عينيه قد استحال بريقا حادا كسنان سيف مشرع وضاعت الابتسامة الرقيقة التى كانت تهتز على شفتيه ليحل محلها تعبير قاس يشد عضلات شفتيه فى حزم وصراحة .

وقال آية الله والكلمات تنساب فى بطء بين شفتيه :

ـ هل تريد الحقيقة فى كلمة واحدة : اننا نريد اخراج الانجليز الكلاب من بلادنا

وتمهل وعيناه تتوهجان :

ـ نعم .. ليخرج الانجليز الكلاب من بلادنا ، وليخرجوا ايضا من كل بلد اسلامى

ومضى آية الله كاشانى وهو يشير بيديه فى وجهى :

ـ لقد أضاع الكلاب الانجليز استقلالنا .. كما أضاعوا من قبل قرآننا .. أين هو القرآن ؟ وأين أحكام القرآن ؟

وأشار الى قلمه الملقى على الارض بجوار البوصلة ثم قال :

ـ اكتب .. اكتب للدول الاسلامية على لسانى ، قل لهم ان أبا القاسم كاشانى خادم الاسلام والمسلمين يقول انه لن تقوم لكم قائمة الا اذا بنيتم حياتكم على احكام القرآن

واستطرد وهو يهز رأسه أسى :

ـ ان الانجليز الكلاب سرقوا منا القرآن ، وكان جلادستون ..

وقطع كلامه ليسألنى :

ـ هل تعرف جلادستون ؟ كان كلبا انجليزيا ، وكان رئيسا لوزارة الكلاب الانجليز ، جلادستون هذا كان يقول انه لا طريق للانجليز بين الامم الاسلامية مادام فيها القرآن ويجب ان يأخذوه منها ليستطيعوا اذلالها ...

ورفع آية الله يده الى السماء وقال :

ـ وسعى جلادستون الكلب وسعى بنو قومه الكلاب حتى اضاعوا من بيننا القرآن ..

وهدأت العاصفة ..

وعادت الابتسامة الرقيقة ترف على شفتى آية الله ، والنظرة الهادئة الحالمة تشع فى عينيه ثم قال :

ـ سوف يموت كل الخونة من أعوان الانجليز وتقطع أيديهم ، لقد قطعت يدى واحد منهم منذ يومين وسوف يلحقه الباقون ..

ومضى بنفس الابتسامة والنظرة الحالمة :

ــ لقد كان قتل رزم آراه بوحى والهام وتوفيق من الله ، وليذهب دمه عظة وعبرة لضعفاء الايمان المترددين ..

واستطرد آية الله وقد عادت الى عينيه حدة السيوف والى شفتيه تقلصات القسوة والعنف :

ــ سوف يؤمم البترول ، سوف يؤمم البترول ، وتصبح كل قطرة زيت تخرج من أرض ايران ملكا لشعب ايران وحده دون شريك !

واستمر الحديث برهة عن ايران ، ثم انتقل آية الله الى احوال الدول العربية يتحدث عنها وفجأة قال :

ــ كيف حال مفتينا الكبير ؟

وومضت عيناه حنانا وهمس :

ــ كم أتمنى لو جاء الحاج امين الحسينى الى ايران

وغادرت الغرفة العجيبة بعد ساعتين ..

وكان هذا أول لقاء لى مع آية الله !

٤ ــ آية الله عاتب على اخبار اليوم

وكان لقائى الثانى مع آية الله قصة عجيبة !

كنت قد ارسلت وصفا للقائى الاول معه ، ورسالة عن الموقف فى طهران الى اخبار اليوم

ووصل ماكتبته فى نفس يوم ظهوره فى القاهرة ــ الى طهران ، ونشرت صحف طهران المسائية أجزاء منه .

وفى ذلك اليوم كنت قد غادرت العاصمة الايرانية فى الصباح

بالطائرة فى زيارة سريعة لمقاطعتى المازندران والجيلان فى منطقة الشمال ، ولم أعد الى طهران الا فى الساعة الثامنة من المساء

ودخلت باب الفندق متعبا منهكا مهدود القوى ، وكان أول ماطالعنى ستة وجوه أو سبعة تتدلى منها لحى طويلة وخيل الى انى اعرف بعض هذه الوجوه ثم تذكرت أنها وجوه رأيتها يوم قابلت آية الله كاشانى

واقترب منى احدهم ، وكانت عيناه جامدتين لا ترسمان اى تعبير وقال :

ـ ان آية الله يريد أن يراك حالا ! .

وقلت معتذرا :

ـ ولكنى متعب منهوك .. فماذا لو ذهبت اليه فى الصباح

ورسمت العينان صورة للاصرار وقال الرجل :

ـ ان آية الله يريد ان يراك حالا ، وانا هنا فى انتظارك منذ ثلاث ساعات ..

ولم يكن هناك مفر ، وركبت مع الرجل وباقى زملائه ، سيارة انطلقت بنا فى الطريق الى بيت آية الله !

والتفت الى الرجل عاتبا :

ـ أنا فى دهشة .. كيف أن رجلا مسلما مثلك يفعل مايغضب آية الله ؟ ..

ونظرت اليه فى ذهول من انقضت عليه صاعقة :

ـ هل فعلت مايغضب آية الله ... انا ؟

وقال الرجل : ان بعض ماكتبته لم يعجبه !

وقلت فى دهشة : ولكن أين هو ماكتبته ؟ ..

فقال : لقد قرأ بعضه مترجما الى الفارسية فى جرائد بعد الظهر ووصلت اليه أخبار اليوم نفسها قبل ان اجىء لآخذك بدقائق

وتوقفت السيارة أمام بيت آية الله ونزلت مع (حراسى) ألف وأدور فى السراديب المظلمة والدهاليز القاتمة وفى راسى دوامة تهدر ..

أنا واثق ان ما كتبته ليس فيه مايغضب آية الله ، ولكن هل نشرت «أخبار اليوم» غير رسالتى لها ، شيئا عن الموقف فى ايران — من مصدر آخر — أغضب آية الله ؟ .

واذا كان هذا هو الوضع .. فكيف أتصرف ؟

وطالعتنى مئات الاحذية ، المختلفة الاشكال والالوان والاحجام ، خارج غرفة آية الله ، وكان قلبى يدق فى عنف .. ولكن ما حيلتى !

وكان استقبال آية الله وديا ، ولكنى أحسست ان شيئا من التحفظ يشوبه !

وقررت ان أكون البادىء بالهجوم فقلت :

— لقد فهمت (وأشرت الى الرجل الذى جاء بى) ان لسيادتكم ملاحظات على ماكتب فى أخبار اليوم

وأخرج آية الله نسخة من أخبار اليوم من تحت طرف الوسادة التى يجلس عليها ثم اقترب منى وأشار فى نفس الوقت الى أول سطر من رسالتى فى الصفحة الاولى من أخبار اليوم وقال وصوته ينصب همسا فى أذنى :

— انت تقول انى سيد الموقف فى « طهران »

ورمقنى بنظرة نفاذة ثم تساءل

— هل نفوذى لا يمتد الى خارج « طهران » ، لماذا لم تستعمل « ايران » بدلا من « طهران »

وأحسست بالهدوء يعود راجعا الى قلبى ، وابتسمت وأنا أقول :

— أهذا كل شىء ؟ ... لقد قصدت بطهران أن أرمز بالعاصمة

الى الدولة كلها وهذا واضح على ما أظن .

وفكر آية الله لحظة ثم رفع راسه وعلى شفتيه ابتسامته الرقيقة التى تلمع ذكاء وقال :

ــ هناك شىء آخر !

وفتح الصفحة الثالثة من أخبار اليوم وقال :

ــ « لقد كتبت أن الكلمات تخرج مضعضعة مكسرة من فمي »

وقاطعته فى دهشة : انا لم أقل هذا ولم أكتبه !

ومددت يدى فأخذت منه نسخة اخبار اليوم ونهبت سطورها بعينى ، فى نفس الوقت الذى أحسست فيه أن مئات العيون المطلة من الذقون الكثيفة التى تملأ الحجرة ترمقنى فى انتظار وترقب .. وغضب !

ووصلت الى الفقرة التى أثارت اعتراض آية الله وقلت :

ــ أنا لم أقل أن الكلام يخرج من فمك مضعضعا مكسرا وانما قلت :

« وكانت الكلمات تمشى ببطء بين شفتيه »

وهناك فارق كبير فى المعنى بين الوصفين !

ونظر الى آية الله فى دهشة وقال : أهذا صحيح ؟

قلت : هاهو ذا بحروفه هنا فى « أخبار اليوم »

وأخرج آية الله نسخة الجريدة الايرانية التى ترجمت ما نشرته أخبار اليوم وقال :

ــ اذن فهناك خطأ فى الترجمة الايرانية

واستطردت أنا قائلا :

ــ ولقد أردت بقولى « وكانت الكلمات تمشى ببطء بين شفتيه » أن أرسم صورة للثقة واليقين اللذين كنت تنطق بهما كلماتك !

واتسعت الابتسامة على شفتى آية الله ، ومد يده فربت فى حنان على كتفى

وصاح الرجل الذى كان قد أوفد ليأتي بى من فندقى . .
صاح فجأة دون مقدمات، وبصوت جهورى وهو يرفع يديه الى الامام:
– برىء والله أخونا المسلم !
ونظرت اليه فى ذهول وهمست:
– وهل كان أخوكم المسلم متهما !؟
ولكزنى أحد الجالسين بجانبى، وكان يبدى لى توددا طوال الجلسة وهمس :
– لا تقل شيئا ، وارفع الشكر الى السماء ان جاءت النتيجة هكذا!؟
ومد آية الله يده مرة ثانيــــة فربت على كتفى وهو يقـــول : الحمد لله
وفجأة انطلقت وراءه أكثر من مائة حنجرة تصيح : الحمد لله!
ونظرت حولى ، وكانت العيون المطلة من الذقون ، تتأرجح وسط الشعر الكثيف فى ود وحنان ! !

٥- اهم من قابلهم بعد هتلر

وكان لقائى الثالث مع آية الله يوم ذهب لمقابلتــه . الصـحفى الانجليزى الذائع الصيت «سفتون ديلمر» كبير مراسلى جريدة الديلى اكسبريس
وكان آية الله قد رفض مقابلة ديلمـر لانه « انجليزى كلب » ، ولكن « ديلمر » ثابر وجاهد حتى قابل آية الله
وكان منظر الانجليزى البدين المرح وهو جالس على ركبتيه أمام « آية الله كاشانى » منظرا مثيرا بديعا
وفى أول المقابلة كان « آية الله » مشغولا عن « ديلمر » بحديث تليفونى مع الجنرال جرزون رئيس هيئة اركان حرب الجيش الايرانى،

وكان آية الله يقول لرئيس اركان الحرب ، وفى صوته هدوء مشوب بالنذر الخفية :

ـ لقد بلغنى أن بعض الضباط من خدم رزم آراه الخائن يريدون الاعتداء على حياتى وانا انذرك بصفتك رئيسا لهيئة اركان الحرب أن تتخذ الاجراءات لردع أمثال هؤلاء المجانين ... انى لا أريد أن أتدخل بنفسى لردعهم ـ وأنا قادر على ذلك ـ وأترك لك الموقف واطلب منك أن تبلغنى ما سوف تفعله !

ووضع آية الله سماعة التليفون مكانها ثم التفت الى ديلمر !

وقال آية الله للمترجم الذى سينقل الحديث بينه وبين ديلمر :

ـ سوف تنقل اليه ما أقول حرفا بحرف ... افاهم أنت ؟

ثم بدأ يوجه الحديث الى ديلمر :

ـ لقد رفضت أن أقابلك ... لانى لا احب بنى قومك !

ونقل المترجم حرفيا :

ـ لقد رفضت أن اقابلك ... لانى لا احب بنى قومك !

وواصل آية الله كلامه :

ـ انى أعتقد أن كل الانجليز كلاب ، ولكن الذين توسطوا لك فى مقابلتى قالوا لي انك لست كلبا كباقى الانجليز ، وانك فلتة طيبة فى امة رديئة !

ونقل المترجم حرفيا :

ـ انى اعتقد ان كل الانجليز كلاب ، ولكن الذين توسطوا لك فى مقابلتى قالوا لى انك لست كلبا كباقى الانجليز ، وانك فلتة طيبة فى أمة رديئة !

وابتسم ديلمر فى صمت وهدوء وصبر .

ثم بدأت الاسئلة والاجابات كأنها مبارزة بالرصاص

قال ديلمر : ما هو رأيك فى رزم آراه ، وفى سقتله ، وفى قاتله ؟

وابتسم آية الله وقال :

ــ رزم آراه خائن ، وقتله عمل مبارك ، وقاتله بطل !

وقال ديلمر : لماذا يحبك الناس أكثر من الشاه ؟

وابتسم آية الله وأدرك أن ديلمر يريد ــ أو يتوهم كما قال آية الله فيما بعد ــ أن يحرجه ولكن آية الله قال بهدوء :

ــ الناس يحبون من يعمل لصالحهم ومن يخدمونهم ويجاهدون من أجلهم !

واستمرت الاسئلة والاجابات فى سخونة البارود ساعة كاملة ثم خرج ديلمر يكتب للديلى أكسبريس رسالة تبدأ هكذا :

« ساعدنى يارب ... ساعدونى أيها الناس ... لقد قضيت ساعة محمومة ، أقوم فيها بمقابلة سياسية هى دون شك أهم مقابلة قمت بها منذ عشرين عاما ، ولم يسبق لى أن شاهدت لها مثيلا الا حين قابلت أدولف هتلر يوم حريق الريخستاج الالمانى ــ المشهور ! »

ثم أردت أن أودع آية الله قبل عودتى الى القاهرة ، فذهبت اليه للمرة الرابعة والاخيرة ، وكان فى هذه المرة سائلا ، وعلى أنا أن أجيب سألنى عن الاحوال فى مصر ، فقلت له :

ــ ان التعليم والصناعة فى مصر ينتشران بقوة كبيرة

وقاطعنى آية الله وهو يهز رأسه فى تبرم :

ــ تعليم ماذا .. وصناعة ماذا ؟ أنهما ملهاة عن الجهاد ، واذا انقطع الناس للعلم والصناعة ، فمن يجاهد ؟!

ثم قال لى بعد قليل :

ــ قرأت فى « أخبار اليوم » أن فى مصر اتجاها لتأميم قناة السويس .

وضحك والتفت الى من حوله :

ــ انى مسرور لان ما نصنعه هنا يجد صدى مماثلا له فى

البلاد الاسلامية

واشار الى ان اقترب منه وبدأ يهمس فى أذنى :

ـ قل لى .. الا يعرفنى النحاس باشا ؟

وهمست فى اذنه بدورى اسأله : لماذا ؟

وهمس آية الله : لقد أرسلت له عندما تولى الوزارة برقية تهنئة فلم يرد عليها ، ثم أرسلت له منذ أسبوعين برقية اخرى أهنئه باتجاه مصر الى تأميم قناة السويس ، ولم يرد على حتى الآن ، فهل هى سياسة مقصودة ؟

وقطع آية الله همسه معى حينما دخل احد أعوانه يحمل اليه رسالة خطيرة ، واستغرق آية الله فى قراءتها ثم التفت الى يقول :

ـ ان بعض قطع الاسطول الانجليزى تجوب الخليج الفارسى فى تأهب واستعداد ، للنزول الى خوزستان ، مقاطعة البترول فى الجنوب الغربى ، واذا أقدم الانجليز الكلاب على هذا فانهم سيجدون مقاطعة خوزستان كلها أرضا مشتعلة بالنار لانى سآمر باحراق آبار البترول اذا اقتضى الامر !

ورفع آية الله أصبعه مهددا واستطرد :

ـ اذا كان الانجليز حريصين على أن يروا جهنم فى الدنيا ، قبل أن يريهم الله نيرانها فى الآخرة فلينزلوا كلبا واحدا من جنودهم فى خوزستان !!

وكان ذلك آخر ما سمعت من آية الله كاشانى !!

الفصل الخامس

ما تزرعه الرياح تحصده العواصف

« حكمة قديمة »

الملك يرشح والشعب يختار – نعى رئيس وزراء – أسرته تتدخل – كلهم غير صالحين – وجهة نظر اليمين – التيار يتحول – تودة مستعد – استاذ فى الجامعة – ٥٢ شابا فى السجن – جعفر بيشفارى – جمهورية فى الشمال – نشاط تحت الارض – اقوى الاحزاب فى طهران !

١ - ضجة فى مجلس النواب

وهكذا كان آية الله كاشانى سيد الموقف فى طهران لعدة أيام بعد مصرع الرجل القوى - رزم آراه

كان وحده القوة ، وكان وحده السلطان . وكان ابرز مظهر من مظاهر قوته أن ايران لا تزال بلا وزارة لسبب واحد هو ان آية الله - الزعيم الدينى - لم يسبغ رضاه - السياسى! - على واحد من الذين رشحهم الامبراطور لرئاسة الوزارة !

ولقد قام الامبراطور بعدة محاولات للسيطرة على الموقف أو على الأقل لتهدئة حدته ، وكان الامبراطور يدرك ان الخطوة الاولى هى أن تكون لايران وزارة ورئيس وزراء ، ولكن آية الله وقف فى الطريق !

وأراد جلالة الشاه بادىء الأمر أن يختصر الاجراءات لسرعة حل الأزمة فاستقر رأيه على ان يعين السيد خليل فهيمى - الذى كان وزيرا للدولة فى وزارة رزم آراه - والذى كان قائما بأعباء منصب نائب رئيس الوزراء بتكليف الشاه - رئيسا للوزراء

والملك بنص الدستور الايرانى لايملك ان يأمر أحدا بتشكيل الوزارة الا اذا رضى البرلمان ، والتقاليد ان يرشح الملك - مجرد ترشيح - من يراه كفئا للرئاسة ويطلب منه ان يتوجه الى البرلمان ويعرض نفسه على النواب فان وافقوا خرج المرشح من البرلمان ليؤلف وزارته ، واذا لم يوافقوا فعلى صاحب الجلالة ان يبحث عن مرشح آخر

ودخل السيد فهيمى دار البرلمان مرشحا من جلالة الشاه لرياسة الوزارة ، وكانت جلسة عجيبة !

كانت هذه اول جلسة يعقدها المجلس بعد قتل رزم آراه ، ورأى السردار فاخر حكمت رئيس المجلس ، أن يبدأ الجلسة بكلمة رثاء لرئيس الوزراء الذى قتل

وكان الجو مشحونا بالنذر ، وبدأ السردار فاخر حكمت يتكلم وسط الصمت الرهيب الذى ساد ذلك الاجتماع التاريخى للمجلس ، وارتفع صوته يقول فى وقار وهدوء :

« لابد أن حضرات الاعضاء الموقرين قد تابعوا الموقف ، والاحداث المحزنة التى ترتبت عليه، مما روع البلاد منذ يومين »

ولم يكمل السردار فاخر حكمت كلامه فقد انفجر النواب فجأة هاتفين :

« يحيا تأميم البترول .. يحيا تأميم البترول »

ثم سكت النواب بعد قليل ليستأنف رئيس المجلس كلامه :

« لقد قتل الجنرال على رزم آراه رئيس الوزراء .... »

واضطر السردار فاخر حكمت الى السكوت مرة ثانية، ووقف الدكتور محمد مصدق رئيس الكتلة الوطنية ، الذى أصبح فيما بعد رئيسا لوزراء ايران - يقول :

- ما هذا الكلام الذى لا معنى له ... ماذا تريد أن تقول يا حضرة الرئيس .. اترك هذا واهتف معنا بحياة تأميم البترول

ومرة ثانية انفجر المجلس هاتفا ، واستمرت العاصفة عشر دقائق متوالية

ثم هدأت الضجة ووقف السيد خليل فهيمى نائب رئيس الوزراء ، ومرشح الشاه لتشكيل الوزارة ، وأنا أنقل هنا حرفا بحرف ، عن التسجيل الرسمى لهذه الجلسة ، تفصيلات ما وقع بعد ذلك

(السيد خليل فهيمى - نائب رئيس الوزراء - طلب الكلمة

وانتقل الى المنبر

«لقد ارسلتنى الحضرة الشاهانية الى هنا لألتمس ثقتكم حتى انهض بمهمة تاليف الوزارة رغبة من جلالة الشاه فى انهاء الآثار السيئة التى تترتب على بقاء ايران بلا وزارة فى هذا الظرف العصيب

– صياح من النواب .. من اليمين ومن اليسار

هتاف : لا نقبل .. لا نقبل

– اصوات مختلفة : كيف يقول انه يريد ثقتنا لكى يؤلف الوزارة ؟ هل صدر اليه أمر بتأليفها – نحن لا نوافق – هذا اعتداء على سلطة الامة

(الضجة تشتد – سعادة رئيس المجلس يأمر برفع الجلسة لمدة ربع ساعة)

وبعد نصف ساعة استؤنفت الجلسة من جديد ، ومرة ثانية أنقل هنا ما دار حرفيا عن السجل الرسمى للجلسة

بدأ الرئيس السردار حكمت فاخر الكلام متجها الى النواب

« لقد طلب الى ابلاغ المجلس الموقر ان الحضرة الشاهانية تعرض على حضراتكم ثلاثة أسماء رشحت لتأليف الوزارة ولحضراتكم الراى الاول والاخير فيمن ترونه يصلح من بينهم للقيام بهذه المهمة »

تلا الرئيس أسماء :

السيد خليل فهيمى نائب رئيس الوزراء

السيد على سهيلى سفير ايران فى لندن

السيد حسين علاء وزير البلاط الملكى

فوقف النائب اشتيانى زاده (من نواب الكتلة الوطنية) وطلب الكلمة – فأجابه الرئيس ، فاتجه الى المنبر وبدأ كلامه :

« أيها الزملاء المحترمون

اذا كنا قد آمنا بالنظام الملكى فليس ذلك من أجل شخص صاحب الجلالة الشاهانية محمد رضا بهلوى !

لقد آمنا بهذا النظام لأسباب متعلقة بالظروف السياسية والوضع الجغرافى لهذه البلاد

ولكن ليعلم الشاه ان حكم ايران يجب أن يكون لنا وحدنا ، اننا نحن نواب الأمة نملك ، ـ ولاأحد سوانا ـ ان نعين رئيس الوزراء ، وليفهم صاحب الجلالة الشاهانية أن بقاءه على عرشه رهين باتباعه لأحكام الدستور

اننا نحن الذين نمثل مصالح الامة ونحن المسئولون عن توجيه مستقبلها ، ولذلك فان الامبراطور وهو غير مسئول يجب أن يمتنع عن التدخل فى شئون السياسة

ثم ان الملك فرد ، والافراد يخضعون لتأثيرات من حولهم ، ونحن لا نضمن عدم تأثر الحضرة الشاهانية بآراء اخوته واخواته ولا نعرف من غيرهم !

ولقد خالف الشاه تقاليد ايران الدستورية لما فرض علينا رزم آراه فرضا ـ والنتيجة ان شهدت ايران عهدا لا نظير له من الشقاء »

النائب اشتيانى زاده يستأنف كلامه :

« وتدخل الاجانب فى شئوننا

(النائب اشتيانى زاده يستأنف كلامه :

« لا نقبل اذن من الملك ان يفرض علينا شخصا بعينه لرئاسة الوزارة ، بل ولانقبل منه أن يضع أمامنا ثلاثة أسماء لكى نختار من بينها واحدا نكل اليه شرف تأليف الوزارة ، والا فماذا يحدث لو اننا رفضنا الاسماء الثلاثة التى يعرضها الشاه ، الا يعتبر

هذا اهانة لقدرة الملك على اختيار رؤساء الوزارة ؟ »

(ضجة وهتاف)

النائب محمود ناريمان يتجه الى الرئيس السردار حكمت فاخر ويقول له :

ـ يجب أن تذهب الآن وتطلب مقابلة الشاه وتبلغه هذا

النائب الدكتور محمد مصدق يوجه الكلام لرئيس المجلس :

ـ (افهموا جميعا أننا هنا نمثل الامة ونحن اصحاب الكلمة العليا)

وانتقل المجلس بعدها الى مناقشات حامية ..

رفض المجلس ان يوافق على تعيين خليل فهيمى رئيسا للوزارة وكانت ابرز الاعتراضات ضده ما يلى :

١ ـ انه كان وزيرا للدولة فى وزارة رزم آراه الخائن

٢ ـ أنه حاول الدفاع عن رزم آراه بعد مقتله !

٣ ـ أن ميوله ضد التأميم

ورفض المجلس اسم السيد على سهيلى سفير ايران فى لندن لسبب واحد قاله النواب صراحة وهو انه صديق الاميرة اشرف شقيقة جلالة الشاه ، وان سموها هى التى رشحته للوزارة

وقبل ان يمضى المجلس فى مناقشة صلاحية السيد حسين علاء، قال الرئيس السردار حكمت فاخر موجها الكلام لأعضاء المجلس :

ـ لقد تلقيت الآن أن السيد حسين علاء قد اعتذر لجلالة الشاه وطلب أن يرفع اسمه من قائمة المرشحين للوزارة

وقام بعض الاعضاء يقولون :

« انهم مع احترامهم للسيد حسين علاء وتقديرهم لأخلاقه واستقامته الا انهم يرون أن رئاسة الوزارة فى هذه الظروف

قد لا تكون مهمة مريحة للسيد علاء لانه :

١ ـ يشكو قرحة فى معدته

٢ ـ قضى سنى دراسته فى انجلترا

٣ ـ اشتغل بالمحاماة فى انجلترا

٤ ـ التحق بوظائف السلك السياسى ممثلا لبلاده فى الخارج

٥ ـ لا يستطيع أن يتكلم او يخطب باللغة الايرانية بطلاقة

وانفض اجتماع المجلس !!

٢ ـ شعاع احمر على الموقف فى طهران

وظلت ايران بلا وزارة مدة عشرة ايام !

عشرة أيام كاملة مليئة بالاحتمالات والأحداث، والأزمات ، والمؤامرات ، وفى هذه الايام العشرة كانت المياه المتدفقة من الثلوج الذائبة على قمم الجبال المحيطة بطهران قد عادت معها بتطورات خطيرة

كان حزب توده الشيوعى قد انتهز الفرصة ، فرصة الأزمة ، وفرصة المؤامرات ، وفرصة الذعر الذى اشاعته فدائيان اسلام وفرصة الفوضى التى خرجت ترعى طهران وتحكم وتأمر فيها ، فبرز كعامل قوى فى الميدان

والذى لا شك فيه أن حزب توده الشيوعى لم يلعب دورا ظاهرا ـ على الاقل ـ فى ازمة تأميم البترول ، وكان بعيدا كل البعد عن اغتيال رزم آراه ، وعن ارهاب فدائيان اسلام ، ولم يكن يملك قوة تسيطر فى طهران يوم كان آية الله كاشانى يقذف الى شوارع العاصمة بالمظاهرة تلو المظاهرة !

كان حزب توده قوة ضخمة قبل هذا كله ، وكان أقوى

الاحزاب دون شك ، واكثرها نظاما ، برغم انه كان منحلا بحكم القانون . ولكن هذا لا يمنع من التأكيد بأن تودة لم يكن من أسباب اثارة ازمة التأميم وما ترتب عليها من مقتل رزم آراه !

بل – وهذه حقيقة غريبة – كان حزب تودة بين الذين فوجئوا بقتل رزم آراه !

ولكنه لم يترك الفرصة تفلت

فاذا هو يحشد كل قواه ليستغل الأزمة فى اغراضه ، ويوجه تطوراتها الى الاتجاه الذى يريده !

وثمت شىء هام أحب أن أوضحه

لقد أحس آية الله كاشانى – وأحس نواب الكتلة الوطنية معه – وهم جميعا من اليمين المتطرف ، احسوا بعد ثلاثة أيام من الأزمة – ازمة مقتل رزم آراه – أن حزب تودة الشيوعى يتحفز ويتحرك بسرعة لاستغلال الموقف والسيطرة عليه ، ولكن آية الله كاشانى ونواب الكتلة الوطنية – واليمين كله – كانوا يغلبون كفة التفاؤل على كفة التشاؤم ، ويبدو لى مما سمعته من آرائهم ان وجهة نظرهم تتلخص فيما يلى :

١ – تحاشى الاحتكاك علنا بحزب تودة مادام يسعى – فى الوقت الحاضر – الى نفس الاغراض التى يسعى اليها آية الله كاشانى والكتلة الوطنية

٢ – السيطرة على الموقف بسرعة

٣ – الالتفات بعد ذلك الى حزب تودة وتوجيه ضربة قاضية له

ولكن ... كما قلت ، كان آية الله كاشانى ونواب الكتلة الوطنية ، واليمين كله ، متفائلين اكثر مما ينبغى !

والنتيجة – بعد اسبوع واحد – أن مراسلى صحف العالم

المكدسين فى فندق ريتزفى طهران — والذين كتبوا لجرائدهم ان آية الله كاشانى هو سيدالموقف — عادوا — بعد أسبوع واحد — يكتبون ويؤكدون ان السيادة على الموقف تنتقل بسرعة الى أيدى حزب تودة

وكان حزب تودة مستعدا للفرصة التى كافح وصبر وتحمل كل شيء من أجلها منذ أكثر من عشرين سنة !!

٣ — النبى الأحمر فى الجامعة

عشرون سنة قضاها حزب تودة يستعد ، ويكافح ويصبر ويقاسى !

لقد بدات قصة حزب تودة مع بداية سنة ١٩٣٠ على وجه التقريب ، وكان الدكتور آرانى استاذ الكيمياء فى جامعة طهران هو الرجل الذى شاء له القدر ان يكتب السطور الاولى فى القصة ، وكتب الدكتور آرانى السطور بحياته هو

كان يدرس الكيمياء فى برلين ، وفى هذه الفترة اتصل بالحزب الشيوعى الالمانى الذى كان قويا قبل أن يلى هتلر أمور المانيا ، وعاد الدكتور آرانى بشهادة الكيمياء ظاهرة فى يده ، وبعقيدة الشيوعية مستترة فى ضميره

وعين أستاذا للكيمياء فى جامعة طهران ، ولكن دروسه عن الكيمياء كانت اقل بكثير من دروسه عن الشيوعية !

ثم ازداد نشاطه ، وخرجت دعوته من الهمس بين طلابه الى الجهر والعلن ، فقد بدأ يصدر جريدة اسمها « دنيا » تنطق بلسان الدعوة الجديدة ، واخذ يعقد فى بيته اجتماعات دورية يحضرها عدد من شباب أساتذة الجامعة

وطلابها .

وكان لابد لنشاط الدكتور آرانى وأصدقائه أن يلفت اليه نظر صقر طهران فى ذلك الوقت وهو الجنرال مختارى رئيس البوليس السياسى فى عهد الشاه رضا بهلوى

وذات صباح تغيب الدكتور آرانى عن محاضرته العادية فى جامعة طهران

ثم عرف أن البوليس السياسى قد القى القبض عليه وأودعه فى السجن ، ومرت بضعة شهور ثم صدر فى طهران بلاغ رسمى يقول : « ان الدكتور آرانى قد توفى فى سجنه مريضا بالتيفوس » !

ورفض أنصاره وتلاميذه أن يصدقوا ، وتواترت الاشاعات عن سبب وفاته ، وبين الاشاعات أن الشاه رضا بهلوى قد أمر طبيبه الخاص فحقن الدكتور آرانى بالسم ليأمن اذاه وأذى الدعوة التى يبشر بها !

ودفن الدكتور آرانى فى مقابر « امام زاده عبد الله » ، ولكن القصة لم تنته !

لقد جعل منه أنصاره وتلاميذه أسطورة استشهاد بديعة ، ورأى الشاه رضا بهلوى – بتدبير الجنرال مختارى – ان الامر يقتضى مزيدا من الحزم ، فصدرت الاوامر بالقاء القبض على عدد من تلاميذ آرانى بلغ ٥٢ شابا من صفوة المتعلمين المثقفين !

وظلوا فى السجن سنوات متعاقبة ، ثم تطورت الاحوال ، ودخل الحلفاء – الروس من الشمال ، والانجليز من الجنوب – الى ايران سنة ١٩٤١ ونزل الشاه رضا بهلوى عن العرش لابنه ، وكان أول شىء فعله الروس فى ايران هو فتح باب السجون أمام الاثنين والخمسين شابا من تلاميذ آرانى ... الذين خرجوا من السجون ليؤلفوا حزب تودة اى حزب الشعب !

وكانت الانتخابات على الابواب ، والجيش الروسى يرابط فى طهران ، وهكذا حصل حزب توده على خمسة مقاعد فى مجلس النواب الرابع عشر

ثم طرأت مشكلة !

كان بين النواب الخمسة الفائزين واحد اسمه « جعفر بيشفارى » وقد نجح عن دائرة أذربيجان الشمالية ، ولكن مجلس النواب تلقى طعنا فى صحة نيابة جعفر بيشفارى على أساس انه من مواليد باطوم عاصمة القوقاز الروسى ، واذن فان جنسيته الايرانية موضع شك !

واصر مجلس النواب ، وكان الجيش الروسى كغيره من جيوش الحلفاء قد انسحب من طهران — على قبول الطعن المقدم ضد جعفر بيشنفارى ، ولكن جعفر لم يستسلم للامر الواقع ، فغادر طهران الى تبريز عاصمة اذربيجان حيث الف الحزب الديمقراطى وطرد الحاكم الايرانى المعين من حكومة طهران واعلن قيام جمهورية شعبية ديمقراطية فى ولاية اذربيجان !

واكثر من هذا اعلن جعفر بيشنفارى انه يعد العدة للزحف على طهران !

ولم تتحقق احلام جعفر بيشفارى فى طهران بل ضاع كيانه فى تبريز نفسها وفشلت الجمهورية الشعبية الديمقراطية لان موسكو لم تكن تؤمن بأن الوقت مناسب لها أولا ، ولانها حصلت على وعد من قوام السلطنة رئيس وزراء ايران بأن يعطيها امتيازا للبحث عن البترول فى الشمال ثانيا ، وثالثا وأخيرا لان الجيش الايرانى بقيادة الجنرال رزم آراه بدأ يوجه لقوات الثوار ضربات ساحقة !

وفر جعفر بيشفارى الى موسكو ولم يسمع عنه شىء من

يومها ، اما الجمهورية الشعبية الديمقراطية فقد تحولت الى أنقاض !

وفى الانتخابات الثانية ، انتخابات المجلس النيابى الخامس عشر ، لم ينجح نائب واحد عن حزب تودة ، ولكن الحزب كان فى طهران يباشر نشاطه وكفاحه كأن لم يحدث شىء

كان نادى تودة فى شارع الفردوسى يغص بالناس

وكانت جرائد توده الثلاث فى كل الايدى : بسيوى آينده – اى نحو المستقبل – كل صباح ، ومصلحت – اى المصلحة – كل مساء ، وراجبار – اى السيل – كل اسبوع

وكانت نقابات العمال – اتحادى أصناف – تعمل كلها تحت امرة توده وتتلقى منه الاشارة والتوجيه

ونظم تودة مرة مؤتمرا عاما دوليا للعمال – وعقد المؤتمر تحت رئاسة زعيم العمال الفرنسى – وحضره ممثلون من نقابات العمال الاوربية ، وخطب فيه مصطفى العتريس رئيس نقابات العمال فى لبنان ، وحضره أكثر من خمسين الف متحمس من طهران !

ثم جاءت محاولة الاعتداء على جلالة الشاه فى جامعة طهران .. حيث بدات حركة تودة ، وكان المعتدى مير فخرائى ، قد تنكر فى زى مصور صحفى وأعد مسدسه تحت آلة التصوير ثم أطلق الرصاص على الشاه – وكان مير فخرائى عضوا فى حزب توده

وانهال حراس الشاه على الشاب فأفرغوا فيه جميعا رصاص مسدساتهم ، وانقضت الحكومة على حزب تودة تنكل به وتمحو وجوده من ايران !

صدر أمر بحل حزب تودة ، وامر آخر باغلاق جميع صحفه ، وجميع نواديه ، وفر من زعماء الحزب من استطاع الفرار ،

وقبض على الذين لم تسعفهم الظروف بوسيلة يغادرون بها طهران ، وكان بين الذين فروا من زعماء حزب تودة ، الدكتور كيتسا فارس الاستاذ في جامعة طهـران وهو وزير سابق للمعارف ، والسيد ايراج اسكندرى وكان ذات مرة وزيرا للتجارة

وبين الذين قبض عليهم الدكتور محمد يازدى استاذ الطب في جامعة طهران وكان فيما مضى وزيرا للصحة والدكتور جودت استاذ الفنون الجميلة فى جامعة طهران !


إقرأ
آخر لحظة
يوم الجمعة
من كل أسبوع

الفصل السادس

« نحن الذين نصنع الفساد ،
والفساد هو الذى يقتلنـا ! »

انتونى ايدن

الغـائب القوي ــ الولايات المتحدة يائسـة ــ
القـوى الغامضـة التى تصـنع الرجال ــ
لحسـاب حزب تودة يعملون ــ روشفى ــ
الخبراء يطردون ــ مادام البوليس يخـاف ــ
النصر فى الصين ــ تعهدات من طلبـة الجامعة ــ
الشـاعر الأحمر ــ حسين علاء يؤلف الوزارة ــ
طهـران تحت الحـكم العسـكري . . !

١ - كلهم يعملون لتودة دون أن يشعروا

انتهى الوجود الرسمي اذن لحزب تودة بعد قرار حله، ومصادرة صحفه ، واغلاق نواديه ، ولكن وجوده الفعلي كان أقوى من أن تصادره القوانين والاوامر ، وكل الذى حدث أن الحزب نقل مجال عمله الى الخفاء ، واتجه بكل همة ونشاط ليستفيد من كل الظروف .

وكما قال لي أمريكى مسئول فى طهران :

« العجيب أن الحزب الوحيد الذى ليس له وجود شرعى وقانونى فى ايران ، هو الحزب الوحيد الذى له وجود فعلي وحقيقي فى كل أرجائها »

وأذكر أنني قلت لهذا الامريكى المسئول :

ـ ولكن أما تصنعون شيئا لمواجهة الموقف ، لقد كنت وانا فى القاهرة أتصور أن ايران تسبح فى بحر من الدولارات الامريكية ، وتضيق بأنواع من المساعدة الامريكية ، وتعج بالعتاد والاسلحية الامريكية ، ولقد ذهلت لما جئت الى طهران لاكتشف أن المعونة التى حصلت عليها ايران منكم هى نصف مليون دولار فقط، لا اكثر ولا اقل

وهز الامريكى المسئول راسه فى أسى وقال :

ـ يظهر اننا جئنا بعد فوات الأوان

ثم مضى فى حيرة :

ـ اننا هنا نعيش فى الغاز ولا نعرف رجلا واحدا نستطيع أن نتحدث معه ، ويبدو أن الرجال هنا يعتمدون على ظروف غامضة ترفعهم فجأة ثم تهوى بهم بنفس السرعة التى ارتفعوا بها ، وليس

هنا أحزاب نستطيع ان نتعاون معها ، ولما جئنا الى هنا لم نجد - كما ترى - الا حزبا واحدا منظما قويا هو حزب تودة ، ولقد حلت الحكومة هذا الحزب والغت وجوده رسميا ولكن - وكما ترى أيضا - كل شيء هنا يساعد حزب تودة، ويمنحه قوة فوق قوته ، ويعطيه حجة جديدة على صواب ما يذهب اليه

ورفع الامريكى المسئول يده الى السماء يائسا وقال :

- كل ما فى طهران مع الاسف يساعد حزب تودة ، بل - اقولها فى صراحة - يعمل لحساب حزب تودة !

وكان الأمر الواقع فى شوارع طهران يؤيد - الى أقصى الحدود - هذا الذى يقوله الامريكى المسئول .

لحساب حزب تودة مثلا ، شباب ايران الذى لا يجد زعماء يتصلون به ، ولا تشكيلات تضم شتاته ، ولا منظمات تجمع نشاطه، الا زعماء وتشكيلات ومنظمات تودة !

ولحسابه أيضا شباب موظفى الحكومة - وهم فى ايران قرابة مائة ألف - يعيشون فى ظروف غلاء مرير ، وتتأخر مرتباتهم بالشهرين وبالثلاثة ولا يهتم بهم أحد ولحسابه كل هؤلاء الفلاحين المعدمين الذين لا يملكون شيئا والذين ما زالوا عبيدا يباعون مع الارض التى يعيشون عليها عندما يشاء الاقطاعيون من أفراد العشرين أسرة التى تملك معظم أراضى ايران، ولحسابه ما تقوله الاحصائيات من أن ٨٠ فى المائة من سكان ايران لا يجدون مقومات القوت الضرورى لاستمرار حياتهم !

والفساد المتفشى فى كل ناحية . . .

فى مجلس النواب نفسه حيث يسير النواب وراء الاغراض الشخصية ، فمنهم من يعيشون على حساب ساسة يوجهونهم ، ومنهم من يتقاضون مرتبات من بعض الوزراء ، يوجد نواب لا

يتركون مشروعا يمر الا اذا كان لهم منه فائدة شخصية مباشرة ، ونواب لا يؤيدون الوزارات الا اذا كانوا هم أنفسهم بين الوزراء !

وفى الأداة الحكومية حيث أصبحت كلمة روشفى - أي الرشوة - أوسع الكلمات انتشارا واستعمالا ، وحيث أصبح من القواعد المقررة أن كل موظف كبير لا ينجز شيئا الا اذا فتح المستفيد منه درج الموظف الكبير واسقط فيه بضع ورقات من ذات المائة تومان ، وحيث يوجد اقبال على وظائف الحكومة التى لا تدفع مرتبات موظفيها ، وحيث لا يشكو الا صغار الموظفين الذين لا يملكون من السلطان ما يجعل لذممهم سعرا ملائما فى سوق الذمم والضمائر

وفى حاشية الشاه حيث يوجد بين أفرادها من لا ينظر الا لمصلحته الخاصة ، ومن لا يهمه أن يزج باسم الشاه فى كل مناسبة وبغير مناسبة، ومن يستغل نفوذه ، بل ومن يرتشى علنا ، وعلى الشاه المسكين أن يدفع الثمن من سمعته وشعبيته وحب رعاياه له

هذا الفساد المتفشى فى كل ناحية .. لحساب من هو ان لم يكن لحساب تودة ؟

ولحساب تودة أنه ليس لايران سياسة ثابتة فى أي ناحية من نواحى الانتاج ،وقد قال لى رئيس وزارة سابق فى طهران :

- خذ مثلا البترول ، ان ايران من أكبر الدول المنتجة للبترول فى العالم ، وكان يجب أن يكون البترول متوافرا لسكانها بسعر معقول يوازى على الاقل سعره فى باقى بلاد العالم ، ومع ذلك فان صفيحة البنزين التى تباع فى الدنيا كلها بما يقرب من خمسة تومانات - اى حوالى الستين قرشا فى مصر - تباع فى ايران المنتجة للبترول بمبلغ عشرة تومانات - أى ضعف سعرها فى البلاد الاخرى التى ليست بين منتجى البترول !

ومضى رئيس الوزراء السابق يقول :

ـ وليست شركة البترول هى المسئولة عن ذلك ـ ولكن منصفين ـ فان الشركة تسلم البنزين للحكومة الايرانية بسعر تومان واحد للصفيحة ، أما الفرق ـ وهو تسعة تومانات فان الحكومة تأخذه لنفسها ضريبة عن الصفيحة الواحدة !!

وغير البترول باقى مرافق الانتاج

وحدث مثلا أن قررت ايران مشروعا لسبع سنوات تتضاعف بعده وسائل الانتاج ، ثم حدث ، والمشروع يمر من أمام المجلس ، ان لعبت المطامع الشخصية دورها فاذا المبلغ المقترح يقسم قسمين ، قسما يوضع تحت تصرف النواب ليصرف فى دائرة كل نائب بحسب ما يرى ويختار ، وقسما ينفذ به مشروع السنوات السبع نفسه .

ورأى الخبراء الاجانب الذين انتدبوا للاشراف على المشروع أن وحدته قد تمزقت ، وأكثر من هذا رأوا أن لا أحد يستشيرهم فيما أتوا من أجله ، ثم فوجئوا يوما بقرار يقضى بالاستغناء عنهم جميعا مرة واحدة وبلا سابق انذار

وأخيرا لحساب تودة كل هذا الشك الذى تأصل فى نفوس الناس ضد كل ساسة ايران

أصبح كل الساسة مرتزقة ، ومرتشين ، وخونة عند اللزوم !

وليس فى طهران سياسى واحد لا تسمع عنه الاعاجيب ، حتى اعضاء الكتلة الوطنية التى تنادى بالتأميم والتى يتولى زعيمها الدكتور محمد مصدق رئاسة الوزارة الآن ...

ولقد كنت أتحدث مع أحد الشبان الايرانيين اللامعين عن الدكتور مصدق نفسه وقلب الشاب الايرانى اللامع شفتيه امتعاضا وهو يقول :

ـ خذ مثلا .. هذا الدكتور مصدق نفسه ، انه وصولى

لا تهمه الا مصلحته الشخصية..

انه مليونير ،وعدو لدود للشيوعية ، ومع ذلك يؤجر بيته لاحدى المؤسسات الشيوعية بخمسة آلاف تومان فى الشهر !

وكان عدوا لرزم آراه بينما كان ابنه مهندس مصدق وكيلا لوزارة المواصلات، وقد حدث حينما عرض عليه السيد حسين علاء أن يدخل معه الوزارة أن اعتذر ، ولكنه لم ينس أن يرشح ابنه مهندس مصدق الذى دخل مع حسين علاء وزيرا للمواصلات !

بل أن حدود الشك والريب جاوزت الاشخاص فى طهران الى القضايا العامة نفسها ، وفى أحرج اللحظات التى مرت بأزمة تأميم البترول لم يكن لدى المارة فى الشوارع ، المارة العاديين ، من تعليق على مسألة التأميم الا كلمة

« ميجن نفت ملى شود »

أي يقولون أن البترول سيؤمم، وكلمة « يقولون » مليئة بمعانى الشك والريبة !!

٢ ـ المارشال الاحمر فى الكرملين

وجاءت الحوادث الاخيرة لتكون قوة دافعة لتودة !

فان حملة الارهاب التى شنتها فدائيان اسلام ! وجرأتها وعجز البوليس أمامها كانت نموذجا استفاد منه حزب توده الى أقصى الحدود

وفى تلك الايام العشرة الخطيرة التى كانت ايران فيها بلا وزارة نظم حزب تودة أكثر من سبع مظاهرات فى ميدان بهارستان ـ أى أرض الربيع ـ ووقف خطباء حزب تودة أمام الميكروفونات

يهدرون ويصرخون .. بينما تذيع محطة طهران بيان حكمدار بوليس طهران بمنع المظاهرات و تكرر اذاعته مرة كل ربع ساعة !

وفى هذه الأيام العشرة ايضا بدأ النور الاحمر فوق طهران يزداد سطوعا

فصحف تـوده التى كانت تتستر تحت اسماء مختلفـة ، خرجت صريحة سافرة ، تطلب ان يعود الى الحزب كيانه القانونى

وخرجت هذه الصحف أيضـا تحمل قصائد لشاعر ايران الكبير محمد تقى بهار ، كلها فى ألفاظ مستعرة حمراء ، ومحـمـد تقى بهار الذى يلقبونه بملك الشعراء فى ايران - والذى كان ذات مرة وزيرا للمعارف - من غلاة المتحمسين للشيوعية !

واضطرت ادارة جامعة طهران أن تستكتب تلاميذها اقرارات بأنهم ليسوا من أنصار اليسار، ولا من أعضـــاء حـزب تـوده

وبرغم هذه الاقرارات فقد كان من الواضح أن ٩٠ فى المائة من طلبة جامعة طهران .. بل ومن اساتذتها أيضا من أنصار حزب تودة

وكانت سلطات الأمن فى طهران قد منعت عرض فيلم اسمه « النصر فى الصين » فى دور السينما فى طهران ، وهو فيلم روسى يصـور كفـاح الزعيم الصينى الشيوعى « ماوتسى تونج » ولكن الفيلم عرض برغم انف سلطات الأمن فى طهران فقـد أقدمت « جمعية السلام » وهى تهـدف - كمـا تقـول - الى تقوية الروابط الفكرية بين ايران وبين الاتحاد السوفيتى - على عرض فيلم النصر فى الصين فى قاعة العرض الخاصة بدارها واعلنت انهـا تبيح مشاهدة الفيـلم لمن يريد ، ولم تستطع سلطات الأمن ان تتدخل لمنع عرض الفيـلم ، ولا استطاعت أن تتدخل ايضا لمنع الآلاف من شباب طهران - فى تلك الايام

العشرة العصيبة ــ من التدفق الى قاعة العرض !

ثم تلقى الأمن ضربة قوية جديدة فقد قتل الدكتور عبد الحميد زنجانه عميد كلية الحقوق فى فناء الجامعة ، وكان قاتله طالبا منعه الدكتور زنجانة من دخول كلية الحقوق، ولم يقل القاتل فى تبرير جريمته شيئا أكثر من وصفه للدكتور زنجانة بأنه كان كلبا خائنا !

وكانت الطامة الكبرى بعد ذلك بيانا أصدرته فدائيان اسلام تنصح فيه شبان ايران أن لا يقدموا على القتل لاسباب شخصية حتى لا يكون فى هذا تشويه لجلال القتل فى سبيل الاهداف العامة

وهكذا ــ فى نهاية تلك الايام العشرة الخطيرة التى عاشتها ايران بلا وزارة ــ كان كل المراقبين المحايدين فى عاصمة ايران ــ سواء من مراسلى صحف العالم المكدسين فى فندق ريتز فى طهران ــ أو من الديبلوماسيين الاجانب الذين يملأون مكاتب دور السفارات والمفوضيات فيها ، يرددون عبارة واحدة:

ــ لو سارت الامور على هذا النحو فان ستالين مارشال الكرملين الاحمر ، لن يكون فى حاجة الى أن يرسل جحافل جيوشه عبر القوقاز لتحتل ايران

« سوف تصبح ايران دولة حمراء دون تدخل جيش ستالين الاحمر !

٣ ــ حسين علاء يؤلف الوزارة

وهكذا بعد عشرة أيام بلا وزارة انتقلت السيطرة على الموقف من اليمين المتطرف الى اليسار المتطرف !

وكان هذا التطور الخطير واضحا كل الوضوح فى طهران ، وهناك حقيقة لا شك فيها هى ان وزارة السيد حسين علاء لم تتألف الا تحت ضغط الاحساس بالخطر الجديد ، وأمام شعور اليمين بأن الموقف يكاد يفلت من يده ويلقى بزمام الحوادث بين اصابع اليسار !

ولم يكن المفروض أن يؤلف حسين علاء الوزارة الايرانية الجديدة ، وانما كان الاتجاه العام كله يرشح للمسئولية الخطيرة أحد رجلين

اولهما السيد أحمد قوام السلطنة

والثانى السيد ضياء الدين الطباطبائى

وكان الاجماع منعقدا على أن الموقف ليس له الا واحد منهما

وكان لكل منهما سجل حافل :

فأحمد قوام السلطنة ثعلب يران كما يسمونه — هو الرجل الذى استطاع أن يضحك على ستالين او هكذا يقولون عنه فى ايران

لقد سافر الى موسكو سنة ١٩٤٧ وطلب من ستالين أن يتخلى عن حكومة جعفر بيشفارى الشيوعية فى الشمال مقابل وعد منه بأن يحمل مجلس النواب الايرانى على أن يمنح لروسيا امتيازا لاستغلال بترول الشمال

ووقع ستالين فى براثن الثعلب — هكذا يقول أنصار قوام السلطنة — فتخلى عن حكومة جعفر بيشفارى فى الوقت الذى كان قوام السلطنة فيه مؤمنا كل الايمان بأن مجلس النواب الايرانى لن يوافق على الامتياز المقترح لروسيا !

وقوام السلطنة ايضا سليل أسرة من اكبر أسر ايران ، وواحد من كبار الملاك فيها ، وخبير ممتاز بأسرار السياسة

الايرانية ، وأكثر من هذا ، سياسى ماهر بارع فى شراء ذمم اكبر مجموعة من اعضاء المجلس !

ولكن الشاه كان معترضا على اسم قوام السلطنة برغم انه تولى رئاسة الوزارة ١٢ مرة !

ووجهة نظر الشاه ، تلخص فى أن قوام السلطنة بعد أن عقد اتفاق موسكو ، وبعد ان خلص ولاية أذربيجان الايرانيــة من براثن الروس بوســائله الدبلوماسية أصيب بنوبة من الغرور لا شفاء لــه منها .

كان يعتقد أنه أعرق من الشاه حسبا ونسبا ، وانه اقوى منه نفوذا ، وان الامر يجب ان يكون أمره والكلمة كلمته

ولم يطق الشاه أن يرى ملكا آخر فى طهران فعزل قوام السلطنة من رئاسة الوزارة ، وخرج قوام السلطنة من قصر جولستان - رئاسة الوزارة الايرانية - ليبدأ مؤامراته ضد قصر المرمر - مقر الشــاه - وأحس الشــاه بمؤامـراته فقــرر أن يقبــض عليه ، ولكن بعض أصدقاء الشاه ، وبعض كبــار الانجليز ، تدخلوا فى الأمر فأصر الشاه على أن يخــرج قوام الســلطنة من ايران ، فخــرج وســافر الى باريس ، وبدأت صحف ايران تنشر له خطابات مفتوحة موجهة الى جلالة الشاه ، يتهمه فيها بأنه يعتدى على الدستور !

وبلغ من ضيق الشاه بتصرفات قوام السلطنة أن أمر بنــزع اسمه من شــارع كان قد أطلق عليه بعد خديعتــه المشــهورة لستالين ، وأراد الشاه أن يمعن فى نكايته فأمر أن يطلق على الشارع اسم « خبايان - ستالين » أى شارع ستالين !!

وللسيد ضياء الدين الطباطبائى - المرشح الثانى - قصــة

فريدة في ساسة الشرق .. فقد سبق ان تولى الوزارة حين كان عمره ٢٧ سنة !!

ولقد بدأ السيد ضياء الدين حياته صحفيا وعمره ١٧ سنة ، فانشأ جريدة أسماها « رعد » وبدأ يدعو الى الجمهورية فى ايران ، ويهاجم أسرة كاجار المالكة .

وقوى نفوذ السيد ضياء الدين وواتته الفرص فأصبح وزيرا فى سن السادسة والعشرين ثم رئيسا للوزارة فى سن السابعة والعشرين ، ثم قرر أن يقوم بانقلاب لخلع الاسرة المالكة ـ أسرة كاجار وقتها ـ وكان لابد له أن يستعين فى اتمام الانقلاب بالجنرال رضا بهلوى رئيس هيئة أركان حرب الجيش وقتها

وكان للجنرال رضا بهلوى خطة أخرى يسرها فى نفسه ، ومهما يكن فقد اتفقت أهدافه فى تلك الفترة مع اهداف السيد ضياء الدين فتركه يتخذ كل الاجراءات لخلع أسرة كاجار ، وأتم ضياء الدين مهمته ، فاذا بالجنرال رضا بهلوى يتحرك للعمل ويحرم رئيس الوزراء الشاب من ثمن النصر فيقبض عليه وينفيه الى خارج ايران وينصب نفسه ملكا لايران ويعلن قيام اسرة بهلوى !

وعاش السيد ضياء الدين فى المنفى يجتر الحسرة والندم ، واستقر فى فلسطين حيث انشأ مزرعة نموذجية ظل يتعهدها ويعمل فيها حتى نزل الشاه رضا بهلوى عن العرش فعاد الى وطنه يحاول ان يلعب دورا سياسيا جديدا على راس حزب جديد الفه واطلق عليه اسم « حزب اراد ملى » اى حزب « ارادة الامة » !

ثم لم يطق السيد ضياء الدين مرارة الكفاح فاعتزل واعتكف فى قرية « سعادت آباد » على بعد ثمانية كيلومترات من طهران

حيث أنشأ مستعمرة نموذجية

وأبرز ميزات السيد ضياء الدين، ان آية الله كاشانى كان يؤيده مرشحا لتأليف الوزارة ، ولكن الشاه - كان يخشاه ويهابه - كقوام السلطنة - ويعتقد أن آراءه الجمهورية تسرى فى دمه ، وان تحويل ايران الى جمهورية مازال يراود أحلامه

وطال تردد الشاه ...
واشتد ضغط اليسار !

ثم انتهى الامر الى تكليف السيد حسين علاء بتشكيل الوزارة ، وقبل مجلس النواب اسمه كمرشح للرئاسة

ونسى المجلس كل اعتراضاته السابقة على حسين علاء

نسى حياته التى عاشها كلها ، طالبا ومحاميا فى انجلترا ، ودبلوماسيا خارج ايران

ونسى قرحة معدته التى تجعله يؤثر الراحة والسلام على مؤامرات طهران ودسائسها ، وعلى مصائب قصر جولستان ، والنكبات التى يلحقها بنزلائه من رؤساء الوزارات

ونسى انه لا يتقن اللغة الايرانية خطابة ، بل وكلاما ، فى ظروف تفرض على رئيس الوزراء ان لا يكف عن الخطابة والكلام ليلا أو نهارا ...

نسى المجلس هذا كله ...

ولم يذكر الا الخطر الزاحف .. الخطر الاحمر ، والذى كانت أول خطوة فى سبيل مواجهته ، ان تكون لايران وزارة مسئولة تواجه الموقف ! !

وهكذا دخل حسين علاء الى قصر جولستان !

٤ ـ علاء فى وجه العواصف

ولم تكن مهمة السيد حسين علاء ـ أو « آلا » كما يسميه الايرانيون ـ سهلة هينة ، ولا كان طريقه مفروشا بالورد والحرير !

قضى رئيس الوزراء اياما طويلة يدور على السياسيين والنواب ويتوسل لكل منهم أن يعاونه ويدخل وزيرا فى وزارته ، ولكن معظم الذين كانوا يصلحون للعمل ـ فى رأى علاء ـ كان لهم رأى آخر !

كانوا يعتقدون ان وزارة حسين علاء مؤقتة ولن تدوم ، وان عمرها لن يطول اكثر من المدة التى يحزم الشاه فيها امره فيكلف احد الرجلين القويين ـ قوام السلطنة ـ او الطباطبائى ـ بتأليف الوزارة ، ولم يكن هناك من يرغب فى ان يكون مجرد جسر يقام ليعبر عليه الآخرون

هذا فضلا عن دقة الظروف نفسها مما لا قبل لاى وزارة بمواجهته مهما بلغت قوتها !

وازداد الموقف صعوبة لما أصدر نواب صفاوى رئيس « فدائيان اسلام » بيانا ـ او امرا على الاصح ـ جاء فيه :

حسين علاء

أن قيادة الامة الاسلامية الايرانية لا يمكن ان توكل اليك او الى رجال من امثالك ـ استقل فورا

بمعونة العلى القدير !

نواب صفاوى

وكانت الترجمة الوحيدة لهذا البيان فى رأى عدد كبير من السياسيين ان فدائيان اسلام قررت أن تقتل حسين علاء

وكل من يتصدى لمعاونته !

وانطلقت جيوش الاشاعات تؤكد هذه الترجمة كل دقيقة

وفى الايام الثلاثة التى كان حسين علاء فيها يحاول جاهدا ان يشكل وزارته كانت طهران تسمع نبأ اغتياله بمعدل مائة مرة فى اليوم الواحد !

أما العقبة التالية لهذا - فى وجه حسين علاء - فهى مشكلة المرتبات المتأخرة لموظفى الحكومة ، وكان لبعضهم فى ذمة الدولة مرتبات شهرين ولبعضهم الآخر مرتبات ثلاثة شهور ، وكانت الكارثة ان هذه المرتبات متأخرة للموظفين فى الوقت الذى اقترب فيه عيد النيروز ، وهو العيد الوطنى الشعبى الكبير فى ايران

واستدعى السيد حسين علاء وكيل وزارة المالية لمباحثته فى الاشكال وقال وكيل المالية لرئيس الوزراء الجديد الذى لم يجد وزراءه بعد : ان المبلغ المطلوب دفعه للموظفين هو ٦٠ مليون تومان ، اى ما يقرب من سبعة ملايين من الجنيهات ، بينما خزانة الحكومة ليس فيها الاعشرة ملايين تومان اى سدس المبلغ المطلوب !

وذهب السيد حسين علاء الى مجلس النواب يقول لاعضائه :

- أنا فى موقف غريب ، فأنا مكلف بأن أؤلف وزارة تحكم البلاد بوساطة موظفين لم يقبضوا مرتباتهم وهذا وضع عجيب . .

وذهب السيد حسين علاء الى قصر المرمر ليقول لجلالة الشاه :

- انى لا أبصر طريقى وسط هذا الظلام ، وانا اريد ان تنتهى الازمة ولكنى لا اجد وزراء يتعاونون معى !

وتدخل الشاه بنفوذه ليسهل مهمة حسين علاء فى ايجاد وزراء

ثم هدد حسين علاء بأنه سيترك الموقف اذا لم يساعده اليمين على اعادة الهدوء والامن الى ايران ، وكان الشبح الاحمر

ما زال رابضا فوق جبال شمران يرقب طهران من بعيد ، وامام الشبح الاحمر ترك اليمين الازمة تمر ، وهكذا تلقى حسين علاء وعدا من آية الله كاشانى ، ومن الدكتور محمد مصدق بأن لا يضعا العراقيل فى طريقه ..

وتألفت وزارة حسين علاء !

٥ ـ الاسطول البريطانى أمام خوزستان

وكان من راى السيد حسين علاء ومن راى كل زملائه انه من المستحيل مواجهة الموقف دون اتخاذ اجراءات استثنائية حازمة تمنع الغول الاحمر من ان ينشب أظفاره

وفجاة صدر قرار بانتداب الجنرال حجازى نائب رئيس هيئة أركان حرب الجيش الايرانى مديرا لبوليس طهران مع قيامه بعمله فى هيئة أركان الحرب .

وفجاة ـ للمرة الثانية فى نفس اليوم ـ وقفت محطة اذاعة طهران برامجها العادية ، وقال المذيع فى صوت مختلج بالشعور بأهمية مايقول :

« جاءنا بيان هام من الجنرال حجازى نائب رئيس هيئة اركان حرب الجيش الايرانى وحكمدار بوليس طهران بالانتداب »

ووقفت طهران كلها بجانب أجهزة الراديو تسمع المذيع يتلو بنفس الصوت المختلج شعورا بالاهمية البلاغ الرسمى التالى نصه :

« بناء على قرار مجلس الوزراء بتاريخ ٢٩ اسفند ١٣٢٩

وبعد الرجوع الى الامر رقم ١٤٥٠٤ لوزارة الحرب

قد اعلنت الاحكام العسكرية فى طهران ومنطقتها لمدة شهرين

تبدأ من الساعة الرابعة عشرة والنصف بعد ظهر اليوم .

ويقضى قرار مجلس الوزراء بتعيينى فى نفس اللحظة حاكما عسكريا لطهران ومنطقتها ..

وبمقتضى السلطات المخولة لى ، قد قررت اعلان حالة الطوارىء فى طهران ومنطقتها وانى اطلب الى أهالى طهران - مراعاة للصالح العام - أن يبذلوا كل جهدهم فى طاعة القوانين والاوامر والتعاون بكل السبل مع الحكومة العسكرية لصون الامن العام ..

الجنرال حجازى
الحاكم العسكرى لطهران ومنطقتها

وكان هذا الاتجاه متوقعا فى طهران لدى المتتبعين لسير الحوادث ، وكان الشيوعيون قد استعدوا له !

وكانت خطوة الشيوعيين الجديدة مفاجأة لليمين ، وللوزارة وللحاكم العسكرى العام ، لقد اتضح ان هدفهم لم يكن طهران نفسها ، وانما كان الى أقصى الجنوب منها ، فى عبدان مركز البترول الحساس !

وفجأة امتلأت شوارع طهران باعلانات ومنشورات تخبر أهالى طهران بتكوين هيئة جديدة باسم « جبهة المكافحين ضد شركة البترول الانجليزية الايرانية »

ثم امتلأت شوارع طهران باعلانات ومنشورات أخرى تذيع ان الجبهة الجديدة قررت النزول الى الميدان فى عبدان وتدعو المكافحين المؤمنين الى الالتحاق بها والى الركوب فى قوافل اللوريات الخاصة التى سيسافر بها الاعضاء الى عبدان للجهاد .

وقبل ان يستطيع الحاكم العسكرى لطهران أن يتدخل ، كانت قوافل اللوريات تغادر طهران وغيرها من المدن ، متجهة

جميعــــا الى الجنوب .. الى عبدان . .

ولم تكن الهيئــة الجديدة الا قناعا جـديدا لحزب تودة ، وفى الوقت الذى غادرت طهران فيه مئات اللوريات متجهة الى عبدان ، كان حزب تودة قد اعطى اشارة العمـــل الى مراكزه فى مناطق البترول نفسها .

وبدأت الاضرابات فى مناطـق الآبار ، ولاح بجـلاء ووضوح ان نقطة الحساسية لم تعد طهران وانما هى عبدان .

وبدأت الاحــداث تجرى بسرعة ..

آبار الزيت فى خطـر مباشر ، والحكومة البريطانية تحتج وتطلب الحماية لمصالح الشركة وموظفيها ومهندسيهـا ، واليمين المتطرف الذى صنـــع الأزمة وجد أن قيــادها قد أفلت من يده ، والوزارة التى اســـتجمعت شجاعتها واعلنت الاحكام العرفية فى طهران ، فوجئت بأن الخطر قد تركـها طهران وزحف الى الجنوب ! ..

وفوجىء السيـد حسين علاء بأنبـــاء تقول ان بعض قطع الاسطـول البريطانى قد دخلت ميناء عبـــدان ، وروت بعض المصادر ان المدمرة « جامبيا » بالذات ومعها مجمـوعة من كاسحات الالغـام هى التى دخلت ميناء عبدان بينمـا الخليج الفارسى خارج عبدان يعج بقطع الاسطول البريطانى المحتشدة

وقرر السيـد حسين علاء استدعاء السفير البريطانى ليشرح له خطـورة الموقف ، ولقد روى لى أحـد الوزراء فى وزارة علاء تفصيلات مقابلته مع السـير فرانسيس شـبرد السفير البريطانى قائلا :

« ان رئيس الوزراء أوضـح للسفير البريطانى مدى الخطـر الذى ينجـم عن وجود قطع الاسطول البريطانى فى عبدان أو

على مقربة منها ، وقال له أيضا :

« انى لا أستطيع أن امنع الجيش الروسى من اقتحام حدود ايران الشمالية اذا نزل بحار انجليزى واحد الى البر فى عبدان ، ذلك لان المعاهدة الايرانية ـ الروسية تنص على ان من حق الجيش الروسى ان يدخل الحدود الايرانية ، اذا نزلت على ارض ايران قوات أجنبية أخرى بقصد احتلالها او بقصد اتخاذها معبرا لها الى جهات أخرى »

وقال لى الوزير الايرانى : ان السفير البريطانى قال للسيد حسين علاء انه يقدر موقفه ، وانه تصرف من تلقاء نفسه حالما سمع باقتراب الاسطول من عبدان فاتصل بالسلطات البحرية البريطانية لتأمر قطع أسطولها بأن تبتعد عن عبدان

وقال السفير البريطانى :

ـ وقبل ان أجىء اليك الآن تلقيت من الاميرالية أن قطع الاسطول ابتعدت بالفعل عن عبدان وانها ألقت مراسيها فى البحرين . .

ثم ختم السفير حديثه فى مقابلته لرئيس وزراء ايران بقوله :

ـ ان الحكومة البريطانية ترى ان الموقف فى الجنوب يزداد خطورة وتطالب بارسال قوات كافية من وحدات الجيش للسيطرة على الموقف . .



رزم آراه الرجل القوى
يتحول جثة هامدة



أرملة ذلك الذى
كان رئيسا للوزراء



أكثرهم اطمئنانا نعش
رزم آراه المحمول على الأعناق



والد رزم آراه ..
نصحه بالابتعاد عن السياسة



الدكتور محمد مصدق
أيام كان زعيما للمعارضة



« مكى » من نواب
الكتلة الوطنية يهاجم



الدكتور زنجانة عميد الحقوق
القتيل لأسباب خاصة



مظاهرات حزب توده
تبرز الى شوارع طهران



أحمد قوام السلطنة ...
ثعلب يخشاه الشاه



ضياء الدين طباطبائى ...
جمهورى يخشاه الشاه



وزارة علاء ..
تحت ضغط الخطر الاحمر



الجنرال حجازى ..
الحاكم العسكرى فى طهران و منطقتها



الكابتن نادرى قوميسير
على الحدود الايرانية



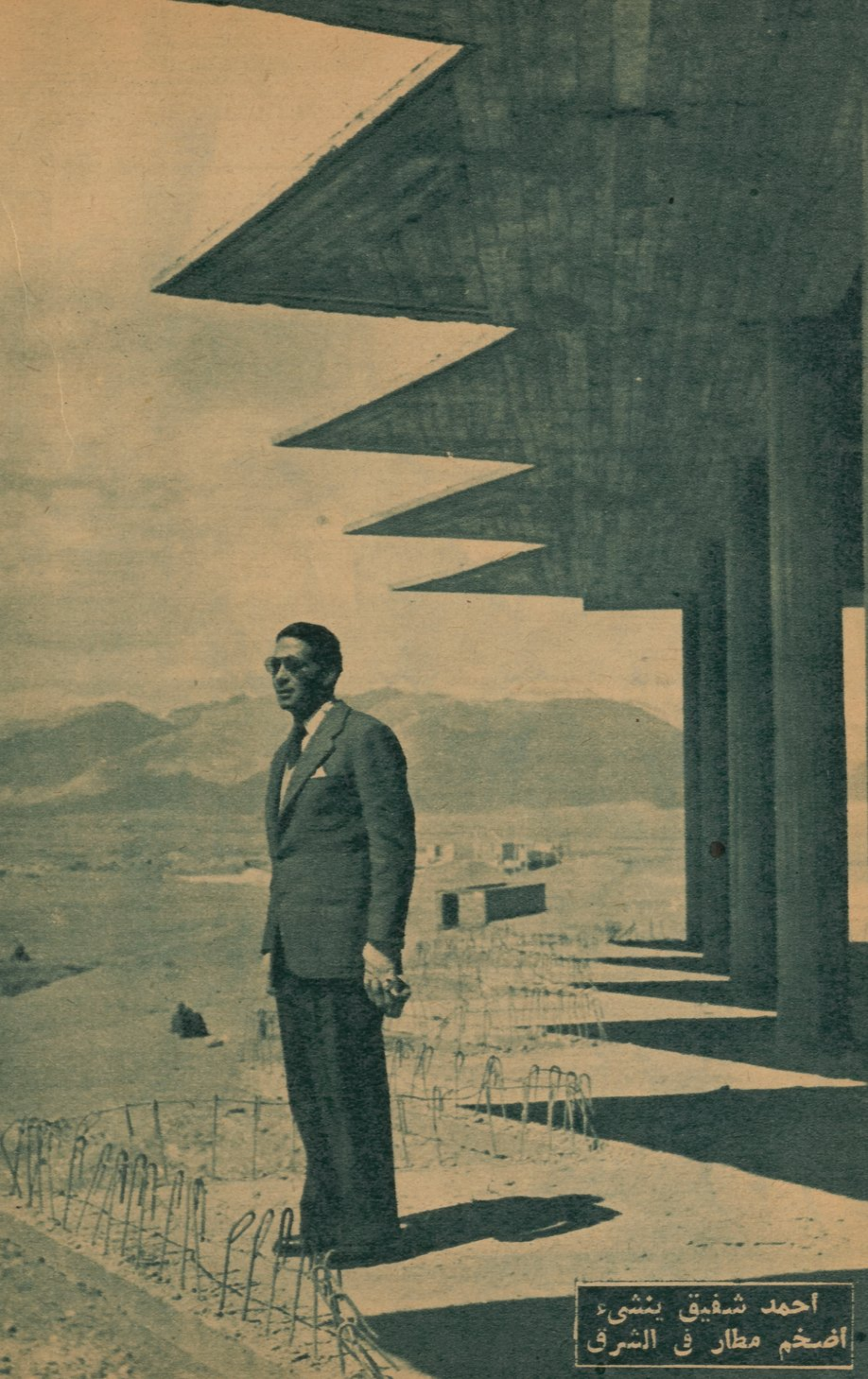
شاه ايران ..
وحيد وسط العواصف



الامبراطورة ثريا ...
وجمال وهدوء فى طهران !



الأميرة أشرف ..
عاشقة نابليون



احمد شفيق ينشىء
اضخم مطار في الشرق

أخبار اليوم

الجريدة الأولى

فى الشرق

تقرأ فيها دائمًا

أخبار الغد

الفصل السابع

أيها الربان
انها ليلة مخيفة هائلة
ان الموت يتربص بنا
والخطر يصفق باجنحته السود حول شراعنا الممزق
والاعصار العاتى يزار ويهدر
اقسم أن لا يهدأ الا اذا قذف بنا الى الهلاك
والبرق والرعد والمطر والعاصفة والغيوم القاتمة
أيها الربان .. ايها الربان
ماهو المجهول الذى يكمن لنا فى الاعماق
حيث الظلام الرهيب !

« بايلى »

جنوبا وراء الخطر ـ كرة فى أقدام عمالقة ـ حكومة جعفر بيشفارى ـ قوام السلطنة مع ستالين ـ بيشفارى يختفى ـ السفير الامريكى يتكلم ـ الجو يتوتر فى الشمال ـ دفعا للأذى وايثارا للعافية ـ ممنوع البحث فى الشمال ـ معارك فى كباريهات طهران ـ تبريز منشور دعاية للروس ـ الامريكان فى طهران !

١ ـ جمهورية تباع فى سوق الآمال !

وكان على اليمين أن يتصرف

على اليمين الذى أثار العاصفة، وأطلق الوحش من عقاله ـ كما كانوا يقولون فى طهران ـ أن يجد له وسيلة لتهدئة الحالة ، واعادة الغول الى قفصه الحديدى ،وكانت تصرفات اليمين الجديدة تتناقض مع تصرفاته السابقة ولكن الخطر كان ـ فى تقديره !ـ لا يحتمل أنصاف الحلول

وبدأ الدكتور محمد مصدق رئيس الكتلة الوطنية يذيع البيانات المتوالية،طالبا من العمال المضربين فى الجنوب أن يعودوا الى العمل .

وبدأ آية الله كاشانى الزعيم الدينى الكبير يناشد أتباعه أن يحافظوا على الامن والنظام .

وبدأ نواب الكتلة الوطنية ومن ورائهم نواب المعارضة ، يطالبون باتخاذ اجراءات حازمة ،وهكذا اعلنت الحكومة ـ بموافقة البرلمان ـ الاحكام العسكرية فى المنطقة الجنوبية التى انتقل اليها الخطر ..

ثم أعلنت الحكومة زوال الحكم العسكرى عن طهران ومنطقتها بعد أن زال عنها الخطر،وتعهدت الجبهة الوطنية وتعهد آية الله بما معناه أن طهران عهدة فى أيديهم لحساب السيد حسين علاء وانهم يصونون الامن والنظام فيها بكل الوسائل الممكنة !

ولكن ايران كلها كانت قد اصبحت كتلة خطر ، فان اللعبة التى كانت طهران مسرحا لها ،لم تعد مجرد حركة محلية،وانما امتد نطاقها فشمل ايران كلها،التى لم تلبث أن تحولت الى العوبة

تائهة فى ايدى عمالقة كبار ،وقال لى احد وزراء السيد حسين علاء فى هذه الفترة :

ـ مسكين هذا الرجل ـ يقصد حسين علاء ـ كأنما لا تكفيه مصائبه هنا ، حتى تتنمر له القوى الخارجية ، ماذا يفعل بين الانجليز والروس والامريكان ، ان عيونهم جميعا ترقب كل حركة من حركاته وكل سكنة من سكناته!

والحق أن عيون هؤلاء جميعا ـ الانجليز والروس والامريكان ـ لم تكن مفتوحة على حسين علاء وحده وانما كانت مفتوحة على ايران كلها ، والحق ايضا أن عيون هـؤلاء جميعا ما غفلت ابدا عن ايران ولا كفت عن التحديق فيها ، والحق اخيرا أن الصراع بين هذه الدول الثلاث ـ التى تهتم بايران كما لا تهتم بشىء آخر ـ لم يبلغ فى اى مكان على الارض ما بلغه فى ايران من عنف وخطورة تنذر بالشرر !

وكانت تلك مأساة ايران الكبرى لا فى هذه الاسابيع وحدها ، وانما منذ سنوات طويلة بعيدة !

واهتمام الانجليز بايران ـ مثلا ـ هو نفسه قصة شركة البترول الانجليزية

ولقد كانت شركة البترول هى كل شىء فى ايران ، كانت تعين الوزراء وتقيل الوزارات وتسبغ عضوية مجلس النواب على من تشاء وتنزع رداءها ـ ذا النفوذ القوى ـ عمن تشاء . وكانت تملك الكلمة العليا على رؤساء القبائل القوية ، خصوصا قبائل الجنوب ، وهى قبائل «البختيارى» و « القشقائى » ، وزعماء هذه القبائل يملكون ثلاثة فى المائة من أسهم الشركة ، وكانت هذه الاسهم قد قدمت هدية لهم من شركة البترول ، لكى يبذلوا كل نفوذهم لحماية مصالح الشركة وانابيبها الممتدة عبر

الصحارى من أى اعتداء !!

٢- الدب المتحفز تحت سفح القوقاز

واهتمام روسيا بايران قصة مشهورة ، بدأت منذ زمان طويل ان الحدود بين روسيا وايران مشتركة لمئات الاميال ، وروسيا دائما تحتل المركز الاول فى تجارة ايران ، وايران فيها البترول ذو الكميات الهائلة والمركز الاستراتيجى الممتاز ، ولا شىء أكثر من هذا .. الحدود المشتركة والتجارة والبترول والاستراتيجية يمكن أن تثير شهية عواطف روسيا تجاه بلد مثل ايران !

وثمة اتفاقات اقتصادية وسياسية كانت تربط علاقات البلدين منذ أعقاب الحرب العالمية الاولى وبين هذه الاتفاقات ماكان يعطى - ولا يزال يعطى حتى الآن - الحق لروسيا فى ان تبادر الى احتلال ايران اذا نزلت فيها قوات تابعة لدولة أجنبية بقصد احتلالها أو بقصد اتخاذها معبرا الى أراض أخرى

وخلال الحرب العالمية الثانية دخلت العلاقات بين روسيا وايران فى دور جديد ، فقد وقعت ايران تحت الاحتلال المشترك للانجليز والروس منذ سنة ١٩٤١ ، ثم جلوا عنها بجيوشهم ، وتركوا مؤامراتهم ، أخرجوا جنودهم وأدخلوا جواسيسهم !

وترك الروس وراءهم فى ايران - غير المؤامرات وغير الجواسيس - حزب تودة ، ومن حزب تودة تفرع الحزب الديمقراطى الذى راسه جعفر بيشفارى والف منه حكومة الجمهورية الشعبية الايرانية فى تبريز ، الموالية لموسكو ، الثائرة على طهران !

ولم تكن موسكو تؤمن بحكومة جعفر بيشفارى الأكثر من سبب!
كانت تعتقد أولا ان الوقت ليس ملائما للقيام بها
وكانت ترى ثانيا ان الاسباب التى من اجلها اقام جعفر بيشفارى هذه الجمهورية ، اسباب واهية غير منبعثة عن وعى شعبى كامل ومن ثم فهى لا تبرر اتساع الحركة .
ولكن هذه الاسباب كلها لم تمنع موسكو من أن تسند جمهورية جعفر بيشفارى لتستفيد منها أو لتساوم بها عند الاقتضاء ..
وكانت ايران قد رفعت أمر الجمهورية الثائرة ، ومساعدة الروس لها ، الى هيئة الامم المتحدة
وطالت المناقشات دون جدوى، وقرر رئيس وزراء ايران وقتها السيد احمد قوام السلطنة أن يتجه الى الاتحاد السوفيتى مباشرة ، وكان قوام السلطنة ـ الثعلب ـ يعرف حنين روسيا وتشوقها الى الحصول على امتياز لاستغلال بترول الشمال فى ايران مما جعله واثقا من نجاح لعبته .
وهمس قوام السلطنة فى اذن الرفيق سدتشيكوف سفير روسيا فى طهران بأنه على استعداد لأن يعطى روسيا ما تطلبه من امتيازات
ثم طار قوام السلطنة الى موسكو وعاد منها بعد عدة أيام ليذيع بلاغا رسميا هذا نصه:
« ان المفاوضات التى بدأت فى موسكو بين رئيس الوزارة الايرانية والسلطات السوفيتية قد وصلت الى اتفاق تام بشأن جميع المسائل وهى :
١ ـ تجلو قوات الجيش الاحمر عن جميع أراضى ايران فى غضون شهر ونصف

٢ ـ الموافقة على تأسيس شركة ايرانية سوفيتية مشتركة للزيت تعرض شروطها على الدورة الخامسة عشرة البرلمان الايرانى للتصديق عليها فى بحر ٧ شهور

٣ ـ ان مسألة اذربيجان مسألة داخلية ايرانية ومن حق الحكومة الايرانية أن تضع الترتيبات السلمية التى تراها مع شعب أذربيجان لانهاء المشكلة مع التوصية بتنفيذ بعض الاصلاحات التى تتمشى مع روح المودة مع شعب اذربيجان

وهكذا القت موسكو بجمهورية جعفر بيشفارى الى الارض لأن يديها امتلأتا بالوعود والآمال فى بترول الشمال !

ولكن قوام السلطنة الثعلب راوغ فى عرض الاتفاق على المجلس وارسلت موسكو احتجاجا بعد احتجاج ، وانذارا بعد انذار ،ولم يجد قوام السلطنة مفرا فقدم مشروع تأسيس الشركة الايرانية السوفيتية للزيت الى المجلس الذى قرر أن ينظره يوم ٢٢ اكتوبر ١٩٤٧

ولعبت المناورات والمؤامرات واذا المجلس يرفض الاتفاق بأغلبية ١٠٢ صوت ضد صوتين،واتخذ المجلس فى نفس الجلسة قرارا يمنع الحكومات الايرانية من ان تفاوض فى المستقبل أو تتفق على منح اى امتيازات لاستغلال بترول الشمال لأية دولة أجنبية ، واقر المجلس فى نفس الوقت برنامجا وطنيا مدته خمس سنوات البحث عن البترول فى الشمال واستغلاله بواسطة رأس مال ايرانى

وكان السفير الامريكى فى طهران ـ جورج الن فى ذلك الوقت ـ أول المصفقين لهذا القرار ،وادلى يومها بتصريح نشرته الصحف وجاء فيه :

« مع انه كانت هناك شركات امريكية تسعى للحصول على

امتيازات فى بترول المناطق الشمالية من ايران - ومع ان هذا القرار من البرلمان الايرانى يقضى على أمل هذه الشركات، فان الولايات المتحدة تؤيد قرار المجلس بكل قواها وتؤيد حرية ايران الكاملة فى التصرف فى موارد بترولها »

وفوجئت روسيا بالضربة، ولكنها قررت أن لا تسكت

فقد حدث بعد ذلك أن أعلنت الحكومة الايرانية انها - طبقا لقرار مجلس النواب لمشروع السنوات الخمس الخاص بالبحث عن البترول - ستبدأ فى استكشاف مناطق الشمال

ومضت الحكومة الايرانية خطوة فى طريق التنفيذ فاستخدمت بعض الخبراء لمسح المناطق الشمالية واستكشافها بالطائرات طبقا لأحدث الاساليب العلمية .

وذات صباح طلب الرفيق سدتشيكوف السفير الروسى مقابلة رئيس وزراء ايران على عجل، وكان يومها السيد حكيمى، وكان سدتشيكوف يحمل انذارا من حكومة موسكو تقول فيه « ان الطائرات التى تدعى حكومة ايران ان مهمتها هى مسح أراضى الشمال جيولوجيا بحثا عن البترول انما هى فى الحقيقة تقوم بتصوير الحدود الروسية لحساب الامريكيين »

واجتمع مجلس الوزراء الايرانى ليقرر - دفعا للأذى وايثارا للعافية - وقف أعمال البحث بالطائرات، وأن يستعاض عنها بطرق الحفر والتنقيب العادية

ومرة ثانية طلب سدتشيكوف مقابلة السيد حكيمى رئيس الوزراء ليحمل له للمرة الثانية - أيضا ! - انذار من موسكو جاء فيه : « انه ثبت علميا أن كميات البترول المختزنة تحت طبقات الارض فى المناطق الشمالية من ايران متصلة اتصالا وثيقا بمسارب ما تحت الارض بمنابع البترول الروسية فى القوقاز،

وان اى سحب للبترول من اى آبار قد يتم حفرها فى شمال ايران ، انما يسحب فى الواقع ونفس الوقت – من الاحتياطى المدخر فى باطن الآبار الروسية ، وعليه ، فان حكومة الاتحاد السوفيتى تطلب وقف أعمال الحفر والتنقيب فى الشمال ، وعلى الفور » !

ومرة اخرى قرر مجلس الوزراء الايرانى – دفعا للاذى وايثارا للعافية – أن يقف كل أعمال البحث عن البترول فى الشمال الى اجل غير مسمى !

٣ – تحية للجيش الأحمر

ولقد قام الروس بمناوراتهم فى ايران ببراعة تستحق الاعجاب!

والذى يقول ان شعب ايران يكره الروس أو يتمنى حربا معهم يتجنى على الحقيقة وعلى واقع الامور فى كل ايران

بل ان العكس هو الصحيح..

ان روسيا استفادت بطريقة غير مباشرة من كل ارباح حزب تودة فى طهران، ولم تكتف روسيا بفوائدها غير المباشرة من وراء تودة بل أقدمت بنفسها وبطريقة ايجابية على العمل لحساب نفسها

ولقد سمعت أكثر من مرة وأنا فى طهران من يقول :

– ما هم الروس ... أليسوا خيرا من الانجليز والامريكان ؟

وطهران تروى لصالح الروس قصصا عجيبة ، وتحمس احد موظفى الحكومة الايرانية يوما وقال لى :

« لقد جاء وقت اشترك فيه الروس مع الانجليز والامريكيين فى احتلال طهران ، وبينما كان الجنود الانجليز والامريكان يسكرون ويعربدون فى الشوارع كانت القيادة الروسية قد

اصدرت اوامرها مشددة بان يلزم جميع الجنود الروس اسوار ثكناتهم ولايخرجوا الى المدينة ابدا ! .

وفى الوقت الذى كنا ـ نحن سكان طهران ـ نروى فيه قصص خطف النساء والفتيات فى السيارات العسكرية الانجليزية والامريكية ، كنا نتحدث باعجاب عن ادب جنود الروس ورقة جنود الروس

وكم من مرة شهدت كباريهات طهران معارك دامية بزجاجات البيرة وبالعصى والمدى والقبعات الحديدية ، بين الجنود الانجليز وابناء عمومتهم الامريكان، هذا بينما كان الضباط الروس ينظرون من بعيد الى هذه المعارك ويهزون رؤوسهم اسى واسفا على حلفائهم ثم ينظرون الى افراد الشعب الايرانى بود وحنان !

وروى لى احد ضباط الجيش الايرانى انه شهد مناورات اقامها الجيش الاحمر قرب ايران ، وقال لى الضابط الايرانى وكان مكلفا اثناء هذه المناورات الروسية بحفظ الامن والنظام :

« حدث أن تحمس بعض الاهالى ضد جنود الجيش الاحمر واخذوا يقذفونهم بالسباب ، ثم تحول السباب حجارة، وسقطت قطع الاحجار فعلا على بعض الجنود الروس ، وكنت فى مكانى اتميز غيظا واقول لنفسى : لو اخرج هؤلاء الروس مسدساتهم واطلقوا النار على الذين يقذفونهم بالحجارة لما استطعت ان الومهم ، ولكن الجنود الحمر كانوا يتلقون الحجارة بابتسامات عذبة رقيقة ، وعلمنا ان القيادة الروسية اصدرت اوامرها اليهم ان يتصرفوا هكذا بمنتهى الادب حتى ولو اعتدى عليهم !..

وفى تبريز عاصمة اذربيجان رأيت بعينى نموذجا آخر لـ اعة الروس ...

لقد كانت تبريز عاصمة للحكومة الشيوعية التى اقامها جعفر بشفارى وحمتها موسكوثم تخلت عنها أملا فى بترول الشمال

ولكن موسكو لم تترك تبريز الا بعد أن جعلت منها منشورا ضخما للدعاية للمذهب الشيوعى، وتبريز اليوم – من اكثر من ناحية – موضع حسد باقى المدن الايرانية بما فيها طهران نفسها!

وطهران عاصمة ايران ليس فيها نظام الجمارك ولكن تبريز التى كانت عاصمة شيوعية تتمتع بهذه الميزة ، فقد نفذ الروس فيها مشروعا ضخما للمجارى ..

وطهران عاصمة ايران ليس فيها نظام للمياه النظيفة ولكن تبريز التى كانت عاصمة شيوعية تتمتع بهذه الميزة ، فقد نفذ الروس فيها مشروعا ضخما للمياه النظيفة

وشق الروس شوارع فسيحة وسط تبريز ، واقاموا مبانى جميلة كثيرة ، ولقد ركبت عربة يجرها جوادان فى شوارع تبريز ، وكان السائق يشير بسوطه الى بعض المبانى الجديدة ويقول :

– هذا هو البرلمان الذى بناه الديمقراطيون – يقصد الشيوعيين

– هذا هو مقر رئاسة جعفر بيشفارى

– كل هذا بناه الديمقراطيون

وسألت سائق العربة : وانت ؟ ماذا كنت تفعل أيام الشيوعيين ؟

وشد السائق قامته بفخر و قال : كنت جنديا يا سيدى !

واقام الروس مستشفيات كبيرة فى تبريز ، واقامت هذه المستشفيات محطات علاجية نائية فى مناطق اذربيجان

وانشط المستشفيات ، واكثرها زوارا ، فى تبريز هو المستشفى السوفييتى الذى يخفق عليه العلم الاحمر ، وبينما الاطباء الايرانيون الثلاثة فى تبريز لايتركون منازلهم اثناء الليل الاباجور

مضاعفة عدة مرات ، وفى بعض الاحيان يرفضون زيارة المرضى فى المناطق النائية ، فى نفس هذا الوقت ، يلبى أطباء المستشفى السوفيتى من الروس أى دعوة ، وفى اى مكان ، وفى أى وقت من الليل أوالنهار

وقال لى ضابط ايرانى ، وكان واقفا يحدثنى ونحن فى قرية « جولفا » على حدود روسيا ، وضباط الجيش الاحمر يلوحون أمامنا وراء حدودهم :

ـ لقد لعب الروس لعبتهم فى منتهى البراعة ، كانوا يعلمون انهم لن يبقوا فى ايران وأنهم سينسحبون منها ، فحرصوا على ان يتركوا بعد ذهابهم ذكريات عاطرة

واستطرد الضابط الايرانى وهو يشير الى الحدود الروسية :

ـ أنا واثق مما أعلمه عن حالة مواطنيهم وراء الحدود ـ ونحن جيران لهم كما ترى ـ أن نظامهم ليس خيرا على الاطلاق ، بل ونحن واثقون انهم يوم يخلو لهم الجو معنا لن يكونوا فى مثل الرقة التى كانوا عليها فى الماضى ... ولكن ...

ولاحت على وجه الضابط الايرانى علامات المرارة ثم استطرد .

ـ ماذا فعل الانجليز والامريكيون لنا لكى نقف الآن من أجلهم ونواجه وحدنا ذلك اليوم الذى نستيقظ فيه لنجد جولفا قد امتلأت بالجنود والسيارات والدبابات

وهز الضابط الايرانى رأسه فى حدة وغيظ :

ـ اقول لك الحق ؟ انى لست مستعدا أن اموت هنا لكى يضمن الانجليز بترولهم فى الجنوب او لكى يطمئن الامريكان الى خط دفاعهم عن الشرق الاوسط

لماذا نقف وحدنا هنا، ولماذا يفرض علينا ان نواجه الجيش الاحمر وحدنا ؟

وابتسم الضابط أخيرا وهو يقول :

ـ لا تتصور أننى شيوعى . . على العكس لقد عشت قرب هؤلاء الناس وعرفت عن كثب مساوىء نظامهم ولكنى كما قلت لا اريد أن أموت فى سبيل الانجليز والامريكان !

٤ - ملك فى ملابس رعاة البقر

واخيرا فان اهتمام الولايات المتحدة الامريكية شىء جديد على ايران !

والامريكان فى طهران ، زائر حائر تائه ، يجرى وراء أهداف غامضة مبهمة لا يدرى ما هو أصلح الطرق للوصول اليها

والخطوط الرئيسية لأهداف الامريكان فى طهران هى دون شك :

١ ـ الدفاع عن الشرق الاوسط

٢ ـ بترول ايران

فأما الدفاع عن الشرق الاوسط ، فان الولايات المتحدة تقف أمامه مذهولة ، مرتبكة ، ومعظم الدبلوماسيين الامريكان الذين لقيتهم فى طهران كانوا يرون أن الوقت قد فات لانقاذ الموقف فى طهران كمركز من مراكز دفاع الغرب ضد الشيوعية ، وقال لى دبلوماسى امريكى :

ـ لافائدة . . ان ايران لايمكن أن تكون مركز قوة لدفاع الغرب

واستطرد على الأثر :

ـ ولكننا لا نستطيع ان نتركها ثغرة مفتوحة !

ولقد حاولت الولايات المتحدة أن تقيم اقتصاديات ايران على أسس ثابتة ، وأعلنت اكثر من مرة أنها تنوى المضى فى تقوية ايران بكل الوسائل حتى لو ادى الامر الى فرش شوارع طهران

بالدولارات ، ولكن الامر لم يزد على مجرد النية، فان ماحصلت عليه ايران من الولايات المتحدة برغم كل الدعايات لم يزد على نصف مليون دولار طبقا لبرنامج النقطة الرابعة ، هذا بينما الخبراء الامريكيون الذين اقترحت الولايات المتحدة تعيينهم كمستشارين فنيين للوزارات الايرانية المختلفة - كانوا يكلفون الحكومة الايرانية أكثر من مليون دولار فى السنة ، فان الواحد منهم لم يكن يجيء الا اذا وقعت الحكومة الايرانية معه عقدا سخيا ، لسنوات طويلة ، وبمرتب ضخم يدفع بالدولار

وكان الواحد منهم يصل الى طهران فيشرع فى اختيار مبنى يصلح لادارته ، ثم ينشيء سكرتارية خاصة ، ومكتبا خاصا ، ولا تمضى شهور الا وقد أصبح الخبير الامريكى وزارة داخل الوزارة بل وزارة فوق الوزارة

وكانت ايران تقبل هذا كله ، وهى تعيش على حمى الأمل فى عقد قرض امريكى ضخم ، ولقد كان هذا هو السر الحقيقى لزيارة جلالة شاه ايران للولايات المتحدة فى العام الماضى ، وبذل الملك الشاب كل ما فى وسعه ليضمن الحصول على ذلك القرض

عامل الرئيس ترومان كما لو كان الها ليضمن الرئيس

وتودد لأعضاء الكونجرس كما لو كانوا أنصاف آلهة ليحصل على رضاهم

وارتدى ملابس رعاة البقر ، وركب جياد الغرب الملونة، وظهر فى الصور مع ممثلى هوليوود ، ومضغ اللبان الامريكى ، كل هذا ليكسب الرأى العام فى الولايات المتحدة ، وعاد الشاه الى طهران .. وآماله فى السماء تحلق على قرض قيمته ٣٠٠ مليون دولار على الأقل !

وتقدمت وزارة رزم آراه فى أول عهدها تطلب الى الولايات

المتحدة عقد قرض لها مقداره ٣٠ مليون دولار ، وهنا وقعت المفاجأة ، واذا واشنطن تقول بصراحة انه لا امل لايران فى أكثر من ٢٥ مليون دولار فقط ، وحتى هذا المبلغ الضئيل يحتاج الى مباحثات ومفاوضات وشروط قبل أن تحصل عليه ايران

ولم يكن هناك مفر أمام حكومة ايران ، وهكذا قبلت أن تدخل معها فى مفاوضات لوضع شروط حصولها على هذا المبلغ المتواضع !

بقى شىء واحد !

هو أن المفاوضات بدأت فى واشنطن منذ ثمانية شهور ولم تنته حتى اليوم ، وبلغت تكاليف الوفد الايرانى الذى يقوم بالمفاوضات - سواء نفقات أعضائه أو نفقات الدعاية لعقد القرض - مليونا كاملا من الدولارات !

ولم يغفل الامريكيون جيش ايران فقد طلبوا أن يعهد الى بعثة أمريكية تدريب الجيش الايرانى واعداده ، ولكن الحكومات الايرانية التى ترتجف من الروس القابعين فى هدوء على الحدود رفضت هذا الطلب ، وان كانت - طمعا فى القرض الكبير - قد قبلت ايفاد بعثة أمريكية لتتولى اعداد حرس الاقاليم

وقد وقع ذات مرة حادث غامض خطير لبعض أفراد هذه البعثة ، فقد حدث أن طافوا ببعض مناطق الشمال ووصلوا الى مقربة من الحدود الروسية فى بعض النقط ، وقيل انهم التقطوا بعض الصور والافلام ، ثم حدث وهم فى طريق عودتهم الى طهران ان خرج عليهم جماعة من الملثمين أوقفوا السيارات ولم يفعلوا شيئا لركابها الامريكيين الا انهم صادروا جميع ما معهم من صور وأفلام !

هذا عن الهدف الاول للولايات المتحدة فى طهران وهو ضمان الدفاع عن الشرق الاوسط ، ثم يبقى هدفهـــا الثانى وهو بترول ايران !

وقصة سعى الولايات المتحدة وراء البترول فى ايران قصة ضخمة افضل ان اترك حقائقها المجردة وحدها تشرح تفصيلاتها :

١ ـ ان حاجة الولايات المتحدة الى البترول حاجـــة ملحـة حيوية ، فان الانتـاج اليومى للبترول فى الولايات المتحـدة سيصل فى سنة ١٩٥٥ الى ٥٠٠ر٣ر٠٠٠ برميــــل فى حين أن الاستهلاك اليومى سيصل الى ٧ر٠٠٠ر٠٠٠ برميل ، ومعنى ذلك أن الولايات المتحدة ستضطر الى ان تستورد من الخارج كل يوم ٣ر٥٠٠ر٠٠٠ برميل

٢ ـ ان الزيادة فى استهلاك البترول سوف تستمر ، وسوف تسجل أرقاما مخيفة اذا قامت حرب عالمية

٣ ـ ان النقص فى انتاج البترول الأمريكى سيستمر أيضا ، بسبب جفاف موارده من شدة الاقبال على استغلالها

٤ ـ ان تكاليف استخراج البرميل الواحد من الزيت الخام فى الولايات المتحدة تبلغ ٤٣ سنتا فى حين أن تـكاليف استخراج البرميل المماثل فى ايران تقل عن ١٠ سنتات اى اقـل من الربع بالنسبة للتكاليف الامريكية !

٥ ـ ان موارد البترول فى ايران هى الموارد الوحيدة فى العالم ـ باستثناء الموارد الروسية بالطبع ـ التى ليس للولايات المتحدة نصيب فيها قل أو كثر

٦ ـ ان التطاحن بين الانجليز والامريكان بسبب موارد البترول فى الشرق الاوسط صراع هائل ـ برغم الصداقة والتحالف بين الشعبين ـ بل لعل هذا الصراع من اخطر العوامل التى تسبب

كثيرا من قلاقل الشرق الاوسط، وقد سبق لحكومة واشنطن ان احتجب رسميا اكثر من خمس مرات ـ بعضها بلهجات شديدة ـ على مؤامرات الحكومة البريطانية لعرقلة نشاط شركات البترول الامريكية فى هذا الجزء من العالم ـ الشرق الاوسط ـ الذى ظل لفترة طويلة منطقة نفوذ بريطانية

٧ ـ ان بترول ايران بالذات كان موضع آمال ضخمة من الولايات المتحدة ، لأن :

● نسبة الاحتياطى المحقق وجوده فيها أعلى نسبة فى العالم وتقدر بـ ١٢ بليون برميل

● صنفه من أجود أصناف الزيت فى العالم

● لان مركزه الاستراتيجى فى اى حرب فى الشرق الاقصى امر حيوى لكسب هذه الحرب

٨ ـ حاول الانجليز ارضاء الولايات المتحدة فتركوا لها بترول البحرين التى اقتسمته شركتان امريكيتان للبترول مناصفة ، هما شركة ستاندار أويل أوف كاليفورنيا وشركة تكساس

٩ ـ ان الامريكان ، حتى بعد هذا، لم يسكتوا عن بترول ايران فقد عاودوا مساعيهم ليحصلوا على امتياز لاستغلال بترول الشمال وتقدمت بالفعل شركتا سوكونى فاكوم وسنكلير الامريكيتين للبترول بعروض الى حكومة ايران ولكن تدخل الروس طمعا فى بترول الشمال نفسه أحبط المحاولة

١٠ ـ ان الامريكيين عادوا بعد ذلك يطلبون تعويضا من الانجليز فاضطر هؤلاء الى اسكاتهم بأن جعلوا شركة البترول الانجليزية تعقد اتفاقا لمدة عشرين سنة مع شركة ستاندارد أويل الامريكية تسلمها بمقتضاها كميات ضخمة من البترول الايرانى

١١ ـ ان مناورات السفارة الامريكية فى طهران طوال مدة المفاوضات لتعديل شروط الاتفاقية بين الشركة الانجليزية والحكومة الايرانية كانت تهدف الى احراج الانجليز ، وفى مقدمة هذه المناورات أن السفير الامريكى مستر هنرى جرادى خرج أثناء هذه المفاوضات التى انتهت برفع حصة الحكومة الايرانية فى ارباح الشركة الانجليزية من ٢٠ الى ٣٠ فى المائة بتصريح يقول فيه :

« انه يهمه أن يعلن أن شركة البترول الامريكية لاستغلال بترول المملكة العربية السعودية ـ أرامكو ـ تعطى الملك عبد العزيز آل سعود ٥٠ فى المائة من ارباحها

١٢ ـ ان هذا التصريح نفسه من أقوى العوامل التى استندت اليها الكتلة الوطنية فى المطالبة بالتأميم

١٣ ـ ان علاقة السفارة الامريكية فى طهران بالقوى التى تطالب بالتأميم علاقة صداقة وود وابرز مظاهر هذه الصداقة ما يأتى:

- السفارة الامريكية هى التى ضغطت على الشاه ليسمح بعودة آية الله كاشانى الزعيم الدينى الكبير بحجة انه وحده يستطيع ان يقاوم الدعوة للشيوعية ، بقوة العقيدة الدينية ، وآية الله هو أضخم القوى المعادية للانجليز ، وهو أضخم القوى المؤيدة لتأميم البترول ، وهو السند الضخم للكتلة الوطنية

- دخل نواب الكتلة الوطنية العشرة الى الانتخابات الأخيرة عن دوائر طهران وسقطوا جميعا باستثناء الدكتور محمد مصدق وفى نفس ليلة اعلان نتيجة الانتخابات تدخل السفير الامريكى وقال ان الانتخابات مزورة ، ووجهت حكومة واشنطن انذارا رسميا الى حكومة طهران اعيدت على أثره الانتخابات فى جميع دوائر طهران ، وكان من نتيجة الاعادة نجاح جميع مرشحى الكتلة الوطنية

● ان آية الله كاشانى والدكتو ر محمد مصدق يقفان فى نفس الخط الذى تقف فيه الولايات المتحدة، وهو خط العداء لموسكو، اولهما بوصفه زعيما دينيا ، و الثانى بوصفه مليونيرا واحد كبار الملاك فى ايران

● ان تاريخ الدكتور محمد مصدق فى محاربة الشيوعية تاريخ حافل ، وكان زوج ابنته وهو السيد متين دفترى رئيسا للوزارة لما قبض على الدكتور آرانى زعيم الشيوعية فى ايران وظل فى السجن حتى مات وكان دفترى ايضا رئيسا للوزارة لما القى القبض على جميع الزعماء الشيوعيين فى ايران .

١٤ – ان الدكتور محمد مصدق رئيس الكتلة الوطنية تولى الوزارة بعد ان اقر مجلس النواب ومجلس الشيوخ وجلالة الشاه ، تأميم البترول فاذا أول تصريح له هو تصريحه المشهور بأن روسيا لن تحصل على قطرة واحدة من بترول ايران

ثم لا يبقى شيء ، الا ان تذكر ان الكتلة الوطنية تعادى الانجليز، وتعادى الروس ، وهى بعد ذلك فى حاجة الى خبراء والى قروض والى مشترين للبترول ، واذن فلا يبقى أمامها الا الولايات المتحدة ، وهكذا تمضى قصة الهدف الثانى لواشنطن فى طهران وهو بترول ايران .. صاحب الجلالة الاسود !

الفصل الثامن

وحدي .. وحدي .. وحدي تماما في هذا البحر الواسع..
الواسع !

« كولريدج »

عرش فی مهب الريح ـ الملك الحائر ـ آية الله
يطرد مندوب الملك ـ ام الملك لها رأى ـ أشرف
الجميلة ـ لقد وزعت أرضي ـ أريد أن يحبني
شعبي ـ فی كف القدر !.

١- تاج وعرش وملك واسع

وفى وسط هذا الطوفان الهائل الذى يغمر طهران ، يحاول شاب فى الثانية والثلاثين من عمره أن يطفو جالسا على عرشه وتاجه فوق رأسه ، على سطح التيار الجارف .

والشاب هو الامبراطور محمد رضا بهلوى

وثمة عقدة تسيطر على تفكير الملك : تلك هى انه لا يريد ان يكون سببا فى ضياع العرش الذى كافح والده ليجعله لأسرة بهلوى ...

لقد بدأ والده رضا بهلوى حياته خادما فى اسطبل ثم أصبح سائسا واصبح جنديا فجاويشا فضابطا فى الجيش الايرانى ايام أسرة كاچار ، وانتهى به الامر وزيرا للحربية، ثم قفز على العرش

وحين ولد محمد رضا بهلوى - الامبراطور الحالى - كان والده لا يزال ضابطا عاديا فى الجيش، وكانت ذكرى أيام الفقر السوداء تخيم بظلالها القاتمة على جو الأسرة ... ثم شاهد الفتى ، والده يقفز الى السماء ويمنح الأسرة - أسرة خادم الاسطبل القديم - تاجا وعرشا وملكا واسعا .

ثم اضطر رضا بهلوى أن ينزل عن العرش لابنه - اول ملوك أسرة بهلوى بعده - وشاء القدر أن يبدأ محمد رضا بهلوى سنوات ملكه وعرشه يتأرجح تحته ، وتاجه يهتز ولا يكاد يستقر فوق رأسه ، وملكه الواسع تمزقه المؤامرات والفتن

ومن هنا كانت عقدة الامبراطور الشاب

انه يريد أن يحفظ العرش والتاج والملك بأى ثمن، وبأية طريقة

ولعل هذا هو السر فى أن يستمع الى اكبر عدد من المستشارين

انه لا يرفض نصيحة ، ولا يلقى الى الريح بأى رأى يسمعه ، ولا يتردد فى تنفيذ اى اقتراح يشار به عليه

ولعل هذا هو السر فى أن تصرفاته تبدو متناقضة ، واتجاهاته تظهر غير متماسكة ، لا تربطها وحدة .

ان تصرفات الملك بالامس قد لا تتفق مع تصرفاته اليوم ، ولا تتمشى مع تصرفاته غدا ، بل ربما بدا التناقض بين تصرفاته فى الصباح وتصرفاته فى المساء ، والسر فى ذلك ، هو تعدد المستشارين واختلاف اتجاهاتهم ، وطاعة الملك الدائمة المستعدة أبدا لأن تسمع وتنفذ !

واستمع الملك فترة أثناء الازمة الاخيرة لنصائح الانجليز

وكانت نصائح الانجليز تتلخص فى : ان جلالتك ملك تملك وتحكم وشعبك جاهل قاصر لا يعرف كيف يصرف أموره ، وبيدك أنت الشاب الطموح أن تصنع مستقبل بلادك ، تقدم ولا تخف ونحن وراءك ... ان هذا المجلس - مجلس النواب - بتشكيله الحالى لا يقف معك بل يقف ضدك فلماذا يبقى ؟ ان كل هؤلاء النواب يسعون لصالحهم فلماذا لا تحل المجلس ، ولماذا يقف رجل كآية الله أمامك ، كأنه الملك دونك . . . اقبض على آية الله كاشانى ، واعلن الاحكام العرفية حتى يستتب النظام ويستقر الأمن !

وكان الملك على وشك ان يأخذ بنصائح الانجليز ، وشاع فى دوائر طهران بالفعل أن الملك سيوقع أوامر بحل مجلس النواب ، والقبض على آية الله ، واعلان الاحكام العرفية

ولكن هذا الاتجاه سرى الى السفارة الامريكية ، فاذا السفير الامريكى يتدخل بنصائح جديدة لدى الشاه ، وكانت النصائح الامريكية تتلخص فى : « انه من الخطورة حل مجلس النواب ، هذا اجراء لا يتمشى مع مبادىء الديمقراطية ، ولماذا تحل المجلس

اذا كان فى وسعك أن تصادق أعضاءه وتكسبهم الى جوارك ، ثم لماذا تقبض على آية الله ، نفهم أن تتقرب منه وتتودد اليه لينضم الى صفك فيكون سندا للعرش»

وحاول الشاه أن يسمع نصائح الامريكيين

أرسل يستدعى رئيسى مجلسى البرلمان ليكونا بجواره بآرائهما طوال مدة الازمة ، ولكن هذا لم يكفل له صداقة المجلس ، ومامن جلسة عقدها النواب خلال الازمة الا اتجهت الهجمات قوية قاسية ضد الشاه ، وضد أسرته وعلى رأسها الاميرة أشرف !

بل ان الهجوم على الشاه تعداه ، وتعدى أشرف ، ووصل الى والده فى قبره الذى تردد اسمه تحت قبة البرلمان مسبوقا بأوصاف الظالم الطاغية السفاح!

وتودد الشاه الى آية الله كاشانى واظهر له الحب والهيام

وحدث مرة أن توعكت صحة آية الله فوجدها الامبراطور فرصة لاظهار عواطفه الطيبة تجاهه فأرسل مندوبا يسأل عن صحته

وأرغم مندوب الامبراطور على أن يدخل الى حضرة آية الله راكعا على ركبتيه ، زاحفا كبقية الناس ممن لا يمثلون الملوك والاباطرة

وأكثر من هذا اعتدل آية الله فى فراشه والتفت الى مندوب الامبراطور يقول له :

ـ هل صحيح أن الحضرة الشاهانية مهتمة بصحتى ؟

وقال مندوب الامبراطور :

ـ ان جلالة الملك بلغ من اهتمامه انه أرسلنى الى هنا لأبلغك أمانيه الطيبة

وبدا الغضب على وجه آية الله وقال :

ـ اذا كانت صحتى تهم جلالته الى هذا الحد فلماذا لم يجىء الى بنفسه !

٢ - اعاد الأرض الى اصحابها

وحاول الشاه ان يرضى الشعور العام فى بلاده والرأى العام العالمى فقرر أن ينزل عن أراضيه للفقراء ، ومضى الى أكثر من هذا فناشد اغنياء ايران أن ينزلوا عن جزء من اراضيهم للفلاحين الذين يعيشون عليها

ولم يكسب الشاه رضا الاغنياء بالطبع

ولكنه ـ فى نفس الوقت ـ لم يحظ بعطف الفقراء ، وسار الناس فى الشوارع يقولون :

ـ لم يفعل الملك اكثر من أن رد الحق المغتصب الى أصحابه .. هذه الاراضى التى وزعها على الناس ورثها عن أبيه ، وأبوه كان خادم اسطبل قبل ان يلى الملك ، فمن أين جاء بالارض أن لم يكن قد نهبها من اصحابها الاصليين من فلاحى ايران وملاكها ، واذن فان محمد بهلوى لم يفعل اكثر من أن أعاد ما سلبه أبوه الى الذين كانوا يملكونه . . . فأي شيء فى ذلك يستحق الشكر ؟ !

ولقد قابلت جلالة الامبراطور وسمعت من فمه قصة توزيعه لأراضيه

وكان اللقاء فى قصر المرمر الجميل البديع

وسرت وراء كبير الامناء فى القصر عبر الصالات الواسعة المليئة بالفن والجمال ، وعلى السلم الواسع من المرمر اللامع الذى ينساب فوقه الذهب ، وعلى السجاجيد ، التى كانت

اشبه ما تكون بلوحات خالدة من آيات الفن فرشت على الارض ، وتوقف كبير الأمناء امام باب مقفل وانحنت هامته وهو يفتح الباب برفق ودخلت لأجد صاحب الجلالة امبراطور ايران واقفايتوسط غرفةالمكتب البديعة والىيساره الامبراطورة ثريا عروسه الجميلة

وكان جوالغرفة يتضوع عطرا وسلاما

النوافذ الواسعة المفتوحة لأشعة الشمس ، تظهر حديقة القصر وراءها خضراء جميلة ، وأوانى الزهور الثمينة ملآى بألوان الورود النادرة ، وثمة ستار كبير فى يمين الغرفة كان مفتوحا على حديقة شتوية تتناثر فيها مجموعات الزهور التى تفوح بالبهجة والترف

وكان الامبراطور يرتدى بذلة رمادية مخططة، وعلىشفتيه ابتسامة طيبة ، وعلى انفه و فوق جبهته آثار الجرح الذى أصيب به لما اطلق عليه « مير فخرائى » الرصاص فى جامعة طهران منذ ثلاث سنوات

وكانت الامبراطورة ثريا ترتدى فستانا أزرق أنيقا تجرى فيه خيوط من الذهب ، وكانت جميلة صغيرة وديعة

وبدأ الشاه الحديث بموضوع توزيع الاراضى ، قال لى :

— لقد كنت اليوم فى فارامين اوزع أول مجموعة منهذه الاراضى على ملاكها الجدد من الفلاحين

وسكت جلالته لحظة ثم رفع بصره وقال :

— ماذا يقول الناس عن توزيع الاراضى ؟

وقلت :

— انهم يقولون ان جلالتك اثبت انك تعيش فى عصرك ، وانك تفكر بعقلية سنة ١٩٥١

وهز الامبراطور رأسه وقال :

ـ الواقع انى اعتقد انه لا سلام ولا استقرار فى الشرق الاوسط ما لم يعد توزيع الثروة فيه من جديد على أساس عادل . ونحن الآن كما تقول فى سنة ١٩٥١ ، والعالم تغير كثيرا عن ذى قبل

ومضى جلالته بصوته الهادىء فى حديثه ، وكانت الامبراطوره ثريا تنظر اليه وهو يتكلم ، وتحاول أن تتابع الحديث الذى كان يدور باللغة الانجليزية

وكان جلالته يقول :

ـ حينما كتب أبى وصيته ، ترك لى كل أراضيه ، وكانت فى مجموعها تبلغ ربع الاراضى المزروعة فى ايران ، وكان أبى يقصد من ترك اراضيه لى ، ان يساعدنى دخلها على أن احتفظ بجلال الملك

ولكن الدنيا تتطور ، والافكار تتغير بسرعة

ولقد رأيت ان واجبى الحقيقى كملك يقتضينى أن أوزع هذه الارض لتساعد الشعب على الحياة ، وكنت واثقا من أن مساعدة الشعب على الحياة اضمن الطريق لصيانة جلال الملك

ومضى جلالة الامبراطور فى حديثه :

ـ ولقد قررت فى بداية الامر ان أنزل عن هذه الاراضى للحكومة ، على أن يصرف دخلها على المشروعات ، التى ترفع من مستوى الحياة بين أفراد شعبى

ولكن ظهر لى فيما بعد ان هذه الفكرة لم تكن مجدية

ولقد كان دخل هذه الاراضى حين سلمتها للحكومة ٧٠ مليون تومان فى السنة ـ مايقرب من سبعة ملايين جنيه مصرى ـ

ولكن الروتين الحكومى - وشأنه واحد فى كل الحكومات تقريبا - كان من نتائجه ان ساءت ادارة هذه الارض حتى انخفض دخلها وفوجئت بعد سنوات بأن الدخل ، الذى كان يصل الى ٧٠ مليون تومان قد هبط الى ستة ملايين فقط أى انه هوى الى أقل من العشر

ولم يكن فى استطاعتى أن أسكت فتقدمت الى البرلمان أطلب أن تعاد الى هذه الاراضى لتوضع تحت ادارة خاصة تكون مسئولة امامى

وكانت شقيقتى أشرف تنهض بجمعية تساهم فى الخدمة الاجتماعية بنصيب وافر ، ولم أجد مانعا من أن يخصص جزء كبير من دخل هذه الاراضى لرعاية المشروعات الاجتماعية التى تقوم بها أشرف ..

وكنت شديد الاهتمام بأن يعود دخل هذه الاراضى الى ماكان عليه قبل أن يهبط بها سوء الادارة الى أقل من العشر

وفى السنة الاولى للادارة الجديدة ارتفع الدخل من ستة ملايين تومان الى اثنى عشر مليونا ، وأعتقد أن الدخل سيصل فى السنة الاخيرة الى ٢٠ مليون تومان !

واستطرد صاحب الجلالة الايرانية :

- ومنذ أشهر خطر ببالى أنه مهما يكن من أمر المشروعات النافعة التى تصرف فيها دخول هذه الاراضى فان حلم الفلاحين دائما أن يصبحوا ملاكا

وسارت أفكارى فى هذا الاتجاه ، واستقر رأيي على توزيعها

وسكت الامبراطور برهة ، ثم استطرد وهو يضغط بأصابع احدى يديه على أصابع اليد الاخرى !

ـ سوف اشرح لك الفكرة بسرعة .

ومضى جلالته :

ـ لقد قررت أن ابيع لهؤلاء الفلاحين هذه الاراضى بأثمان تقل عن نصف قيمتها وبأقساط لمدة ١٥ سنة .

وقررت أن تخصص المبالغ المتجمعة من ثمن البيع لانشاء صناعات زراعية قوية ..

وقررت ان يذهب ربح هذه الصناعات الزراعية الى مؤسسة خاصة تتولى استصلاح الاراضى غير الصالحة للزراعة بكل الوسائل العلمية والفنية ، لكى توزعها بدورها على فلاحين يصبحون ملاكا جددا

وسكت الامبراطور ثم رفع بصره الى وقال :

ـ هذه وجهة نظرى .. هل وفقت فى شرحها ؟

وقلت لجلالته :

ـ انها شديدة الوضوح ...

وأشار صاحب الجلالة الى ملف على مكتبه وقال :

ـ لقد طلبت الى الخبراء أن يعدوا مشروعات بانشاء جمعيات تعاونية تقام على الفور . وتباشر نشاطها فى مساعدة الفلاحين ، الذين وزعت عليهم الاراضى . وانا ارى انه لا يكفى ان نعطيهم الاراضى ونقول لهم :

ـ لقد أصبحتم ملاكا فاذهبوا الى حالكم

ان هذا خطأ كبير ، وواجبنا أن نقف بجوارهم نساعدهم لنجعل من ملكيتهم ملكية نافعة مثمرة لهم .

وسكت جلالته ريثما يخرج علبة سجائره من جيبه ويشعل سيجاره ينفث دخانها فى الهواء ثم استطرد :

ـ أنا أتمنى من صميم قلبى أن ننجح ، وأنا ابذل من أعماقى كل ما فى وسعى لرفاهة شعبى

ولما قررت ان انزل عن جميع أراضى ، جاءنى البعض يقولون :

ـ الا تحتفظ بجزء منها وتنزل عن جزء ، وهل يعقل ان يكون امبراطور ايران لا يملك قيراطا واحدا من أراضيها الزراعية ؟

وقلت لهم وأنا أبتسم :

ـ ان امبراطور ايران يريدان يستبدل بهـذه القراريط من الاراضى الزراعية قراريط اخرى من قلوب رعاياه ؟

وسكت الامبراطور وكان فمه يحمل ابتسامة عريضة . وكانت الامبراطورة ثريا هى الاخـرى تبتسم ...

. . . .

. . . .

. . . .

وبعد دقائق كنت أهبط سلم قصر المرمر ، ثم أتمشى على قدمى فى الهواء البارد خارج القصر عبر خبايان كاخ أى شارع القصر ـ وكلمات ملك شاب طيب يحاول أن يخـدم بلاده لا تزال تمـلأ خواطرى ..

وعند نهـاية « خبايان كاخ » كان أحد باعة الصحف ينادى بأعلى صوته على طبعة جديدة من جريدة « رازانى » ..

وكان عنوان الصفحة الاولى فى الجريدة :

« الشاه يقامر بتاجه وعرشه »

وحملقت فى الجريدة بدهشة .. وتنهدت أقول لنفسى !

ـ ماأصعب صناعة الملك ، وماأشق أن يكون الانسان ملكا !

٣ ـ وحدى .. وحدى !

وكانما لا تكفى الملك كل هـذه المتاعب ، حتى تهب اسرته نفسها لتقوم بدورها فى تنغيص حياته !

واول افـراد اسرة الملك هى صـاحبة الجلالة الملكة تاج الملوك والدته

« وتاج الملوك » التى شهدت كفاح زوجها من خادم فى اسطبل الى ملك وامبراطور ، والتى شهدت دكتاتورية رضا بهلوى لتثبيت دعائم عرش اسرة بهلوى فى حكم ايران ، والتى شاهدته آمرا ناهيا حاكما مطلقا فى مصائر الشعب الايرانى ، غير راضية عن سياسة ابنها

وروى لى احد موظفى « دربر » ـ البلاط الملكى الايرانى ـ ان جلالة الملكة الام كثيرا ما تدخل مكتب ابنها غاضبة ثائرة ، تلومه على الطريقـة التى يسـوس بها الامور ويسير بها الملك

وكم حدثت مشادات بين الام وابنها ، هى تقول : ان الاسرة قد انتهت بفضـل تهاون « محمد » ابنها الملك وتراخيه ، وانه لا يصلح ان يكون ملكا ، وان لا شىء فيه يشبه أباه

ويحـاول الابن الملك أن يشرح للام ان الدنيا تغيرت ، وان العصر غير العصر ، والناس غير الناس ، وان ايام الحكم المطلق لرضا بهلوى شىء ، والحكم النيابى لمحمد رضا بهلوى شىء آخر

وتخرج الأم وقد ملأتها الحسرة والاسف فتعتكف فى قصرها لا ترى احدا ولا يراها أحد ، ولكنها تعود بعد أيام فتقتحم مكتب ابنها ثائرة ساخطة غاضبة !

وثانى افراد اسرة الشاه هى شقيقتـه الامـيرة اشرف وهى

متزوجة من شاب مصرى هو الاستاذ احمد شفيق ابن شفيق باشا المؤرخ المشهور

والاميرة اشرف فتاة جميلة ذكية ، لا تقنع ان تكون اميرة او زوجة وانما تحلم ان تلعب دورا ايجابيا واسع النطاق ، لا فى ايران وحدها ، وانما فى المحيط الدولى كله . . .

والمثل الاعلى للاميرة اشرف هو نابليون بونابرت

ولقد قابلت سموها مرتين ، مرة فى الصالون ، ومرة فى غرفة مكتبها ، وفى الصالون كان هناك تمثال لنابليون ، وفى غرفة المكتب كانت هناك لوحة لنابليون !

ولقد كان لاشرف نفوذ هائل على شقيقها

ولكن العارفين فى طهران يقولون ان نفوذ الاميرة اشرف قد بدأ ينكمش

ثم تروى طهران بعد ذلك قصصا غريبة ، منها مثلا ان الاميرة اشرف كانت بعيدة كل البعد عن تفصيلات زواج شقيقها من ثريا اسفنديارى ، وان شقيقتها الثانية الاميرة شمس هى التى قامت مع الملك بكل الترتيبات

ويبدو فعلا ان اشرف لم تكن راضية عن زواج شقيقها ، ويبدو ايضا انها لم تقتصد فى ابداء عدم رضاها لدرجة انه لما مرضت ثريا أثناء فترة الخطبة وقبل عقد القران بالتيفود ، أشيع فى طهران ان الاميرة اشرف قد دست السم لخطيبة شقيقها لانها ليست راضية عنها ! !

وحدث يوم زفاف الامبراطور الى ثريا ان تضايقت الاميرة اشرف من بعض ترتيبات الزفاف فاذا هى فجأة تنسحب من قصر جولستان الذى اقيمت فيه الحفلة ، وتعود الى بيتها غاضبة !

وتبدى الاميرة اشرف اهتماما كبيرا بالاصلاح الاجتماعى فهى

رئيسة هيئة « سازمان شاهنشاهى خدمات اجتماعى » أى المؤسسة الامبراطورية للخدمة الاجتماعية وهى اضخم الجمعيات الخيرية فى ايران

ولكن العارفين فى ايران يقولون :

ـ ان المسائل الاجتماعية بالنسبة لاشرف الجميلة الذكية ليست الا مجرد هواية ، اما عملها الاصلى فهو السياسة !

وللاميرة اشرف جماعة كبيرة بين سياسيى ايران منهم رؤساء وزارات ووزراء وكبراء وهى تسيرهم وتحركهم ، وان البعض يقول انهم هم الذين يحركونها ويسيرونها !

ومن رأى الاميرة اشرف انه يتعين على الملك ان يتخذ اجراءات حازمة وان يثبت وجوده فى الازمة والا جرفه التيار ! . . واغرقه الطوفان !

والعضو الثالث فى الاسرة ، الاميرة شمس الملوك وهى الشقيقة الثانية للشاه .. والاميرة شمس تحاول جهدها ان تبتعد عن السياسة ولكن رأيها الذى تلقيه لشقيقها دائما هو ان يلف مع الريح وان يدور مع الدوامات وان يحنى رأسه للعواصف

ثم باقى افراد اسرة الملك . . . شقيقته الثالثة فاطمة التى تزوجت من الشاب الامريكى هيللر واشقاؤه الشبان الاربعة ، ان كلا منهم يعيش فى واد بعيد

فاطمة مشغولة بحبها لهيللر ، وقد جر هذا الغرام على شقيقها متاعب الدنيا والآخرة فى بلد اسلامى متعصب !

وعبد الرضا الذى عينه شقيقه مديرا لمشروعات السنوات السبع لم يدخل مقر ادارة المشروع الا مرة واحدة منذ ثلاث سنوات

وعلى رضا وغلام رضا ، يعيشان لشبابهما ويتركان لشقيقهما الاكبر محمد رضا بهلوى متاعب الملك وشئون

الامبراطورية ..

وقال لى احد اصدقاء الشـاه :

ـ لقد دخلت على جلالته مرة اثناء احـدى الازمات ، وكان جلالتـه ثائرا منفعـلا يروح فى مكتبه ويجىء ويزم شفتيه غضبا ويمسك احدى يديه بالاخرى من فرط الضيق والتأثر .. ثم نظر جلالته الى وقال فى صوت مختلج:

« ماذا افعل .. انى هنا وحدى . ولا احـد يشعر بمتاعبى ، بل ان الجميع يتآمرون على . .بعضهم عن قصـد وتعمـد ، والبعض بطيبـة وحسن نيـة ،ولكنى ادفع الثمن وحـدى . . وحدى »

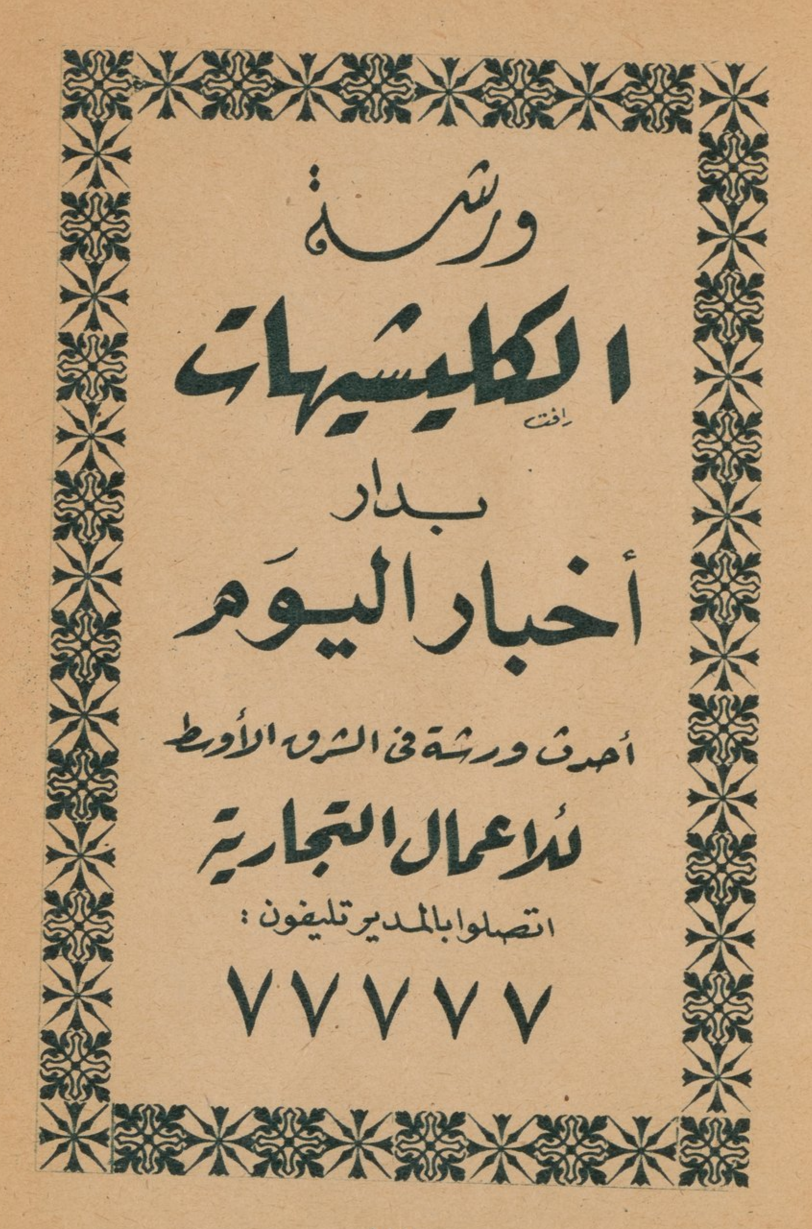
وقال لى صديق الامبراطور :

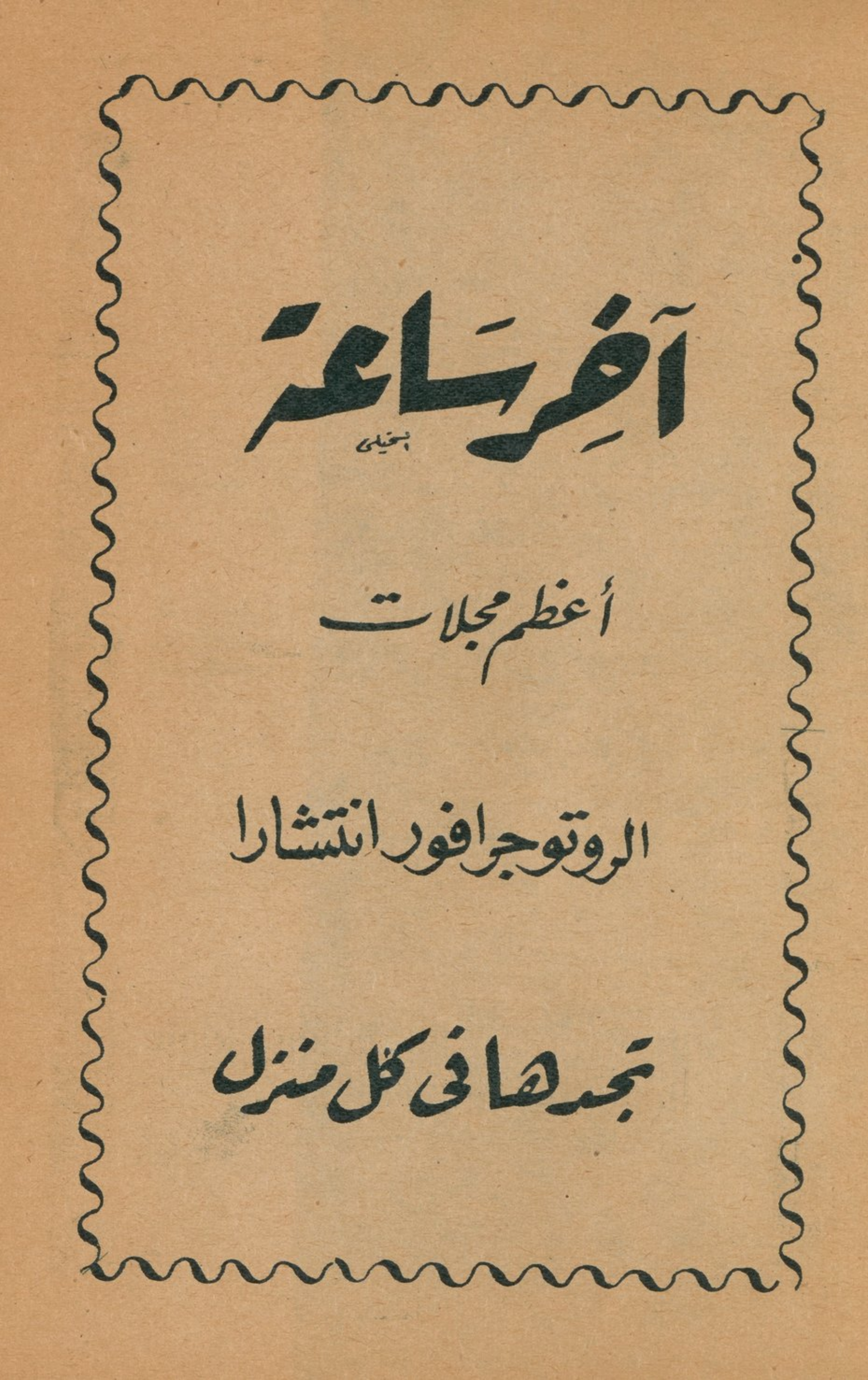
ـ واختلج صـوت الملك وهويكرر كلمة « وحـدى » . . . « وحدى » ..

واحسست ان جلالته مقبـل على ازمة نفسية عنيفة ،ووجدت انه ربما فضـل ان لا يرى تأثره احـد ، وفتحت باب الغرفـة وخرجت ، وتركت الملك لانفعالاته .. وحده فى مكتبه


هل تعرف بلادك؟
سجل مناظر مصر الطبيعية الجميلة .. على أفلام
فرانيا
صنع خصيصاً ليلائم جو مصر
ferrania
8 pose 6x9 cm.
pellicola fotografica
Roll-Film
ferrania
8 Exp. 3¼ x 2¼ inch.
ferrania
8 pose 6x9 cm.
الوكلاء :
هـ . نصيبيان وشركاه
١٨ شارع فؤاد الأول بمصر
ت. ٤٩٢٦٤


محلات
محمد حوري
تعلن افتتاح صالة العرض
بعمارة آل طالب
شارع محمد بك فريد (عماد الدين سابقا)
لبيع :
ثلاجات نورج المشهورة
NORGE
وأجهزة راديو زينيت الأمريكية
وسنتروم السويدية
ZENITH
والآلة الكاتبة العالمية
UNDERWOOD
أندروود
العربية والافرنجية
للجملة : شارع عدلي باشا رقم ٩ تليفون ٤٩٥٩٤


ورشة
الكليشيهات
بدار
أخبار اليوم
أحدث ورشة فى الشرق الأوسط
للأعمال التجارية
اتصلوا بالمدير تليفون :
٧٧٧٧٧


آخر ساعة
أعظم مجلات
الروتوجرافور انتشارا
تجدها فى كل منزل

1951

كتاب اليوم
صاحباه
مصطفى أمين وعلى أمين
رئيس التحرير
عبد العزيز عبد العليم
كتاب شهرى
يصدر عن
دار أخبار اليوم
الادارة والتحرير
والاعلانات والتوزيع :
شارع الصحافة
المراسلات :
صندوق بوستة رقم ١٠
تليفون ٧٧٧٧٧
عشرة خطوط

الاشتراكات
فى مصر والسودان ١٠٠ قرش بريد عادى و ١٣٠ قرشا بريد مستعجل – فى البلاد العربية والبلاد الداخله فى اتفاقية البريد ٢٥٠ قرشا بالبريد المسجل او ٣ جنيهات استرلينى وواحد شلن و ٦٫٥ بنس – فى البلاد الخارجة عن اتفاقية البريد ٤٥٠ او ٢٥ دولارا بالبريد المسجل

مطابع دار أخبار اليوم